عَياد موسى العوامي

أوراق في التاريخ والفن



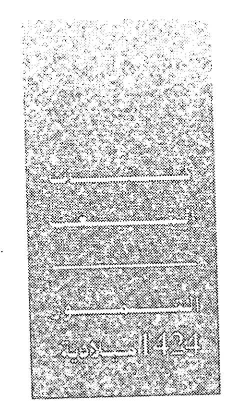
الدار الجماهيرية
للنشر والتوزيع والإعلان

كتاب الشهر
سلسلة تحقق اشتراكية الثقافة

التمور
1424
ميلادية

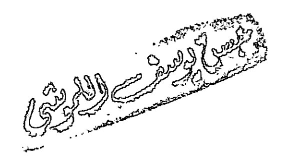


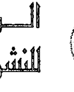
أوراق في التاريخ والفن

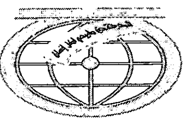


عَيَاد موسى العوامي

أوراق في التاريخ والفن



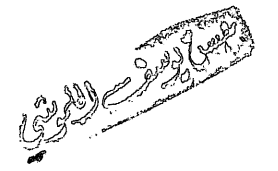




الدار الجماهيرية
للنشر والتوزيع والإعلان

الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان
سرت: ص.ب. 921 ـ مبرق: 30098 مطبوعات ـ ناسوخ: 62100 ـ 054
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

الطبعة الأولى: التمور 1424 ميلادية
رقم الإيداع: 2073 / 1424 ميلادية ـ دار الكتب الوطنية ـ بنغازي



المحتويات

مقدمـة

يحوي هذا الكتاب محطات يستريح فيها القارىء وتنقله عبر ما تحتويه من مواضيع متنوعة إلى عوالم مختلفة يمر بها دون أن تخطر بباله... فتقدم له معلومات لا تخلو من طرافة... وتبعده بعض الشيء عن مشاغل حياته اليومية.

أرجو أن تفيد القارىء العزيز وأن يقضي مع صفحات هذا الكتاب وقتاً ممتعاً.

عياد موسى العوامي

تطلعات نحو العالم الآخر

يستغرب الكثير من زوار المتاحف ما يشاهدونه من مخلفات الحضارات القديمة عندما يتطلعون إلى النقود والأواني والأمشاط وغيرها مدفونة مع الموتى وخاصة في قبور الرومان والمصريين القدماء وغيرهم.

إجابة على تساؤلات هؤلاء الزوار وإزالة لما يواجههم من استغراب أقول: إن السبب في تواجد هذه المخلفات هو ما كانت تعتقده الشعوب القديمة من أن الميت ستعود إليه الحياة وسيحتاج عندئذ إلى بعض الأواني لكي يطبخ فيها، وإلى نقود يشتري بها حاجياته من السوق وإلى بعض أدوات الزينة التي قد لا تكون متوافرة في المحلات التي سيتردد عليها!!.

وإذا ما لاحظنا ما كانت تقوم به بعض القبائل والمجتمعات في مناطق متعددة من العالم، سنكتشف آنئذٍ

أن الفراعنة والرومان كانوا مقتصدين جدًّا فيما يضعونه في قبور موتاهم، فقد اختلفت النظرة إلى الآخرة أو إلى العالم الآخر حسب درجة التفكير لدى تلك القبائل. . . فمنها ما تدفن مع رئيسها الخيول التي كان يحبها ومنها ما تدفن معه كل ما يملك من حيوانات. وبعض القبائل تدفن مع الميت كمية من القمح والشعير لكي يقوم بزراعتها في العالم الآخر.

إن كل ما تضعه تلك القبائل من حيوانات وبذور يكاد يكون غير ذي قيمة إذا ما قيس بما تقوم به قبائل أخرى مثل القبيلة التي تضع مع الميت نساءه وعبيده وبعض أصدقائه المفضلين لكي يأنس بهم في الآخرة، وفي بعض المجتمعات نجد أن أحد الكهنة يذبح لكي يقوم بخدمة رئيس القبيلة فيما يحتاجه من الأمور الدينية في العالم الآخر.

أما في الهند فكانوا عند موت ملك أو رئيس لديهم يعمدون إلى قتل عدد من عبيده ويقومون بدفنهم قبله لكي يهيئوا له مكاناً في الآخرة.

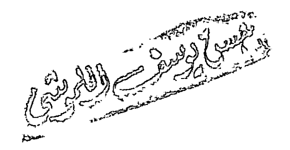
وفي بعض البلدان كانوا عندما يموت الملك يضحون له بعدد من نسائه وخدمه حتى لقد يتجاوز العدد ألف نسمة.

ويقال أيضاً أن نساء الميت في بعض المجتمعات كن يتنافسن على قتل أنفسهن كدليل على إخلاصهن للميت، وفي بعض المجتمعات القبلية عندما يموت الرئيس تصعد على حافة القبر اثنتا عشر فتاة يتزاحمن على الدخول معه في قبره وذلك ليدفنَّ معه أحياء.

يحكى عن إحدى القبائل أنه عندما يموت الرئيس أو شخص مقدم فيها تبدأ نساءه في كسر وهدم كل ما يصادفهن ثم يتقاتلن وقد حدث في إحدى المرات أن مائتين وخمسين منهن قتلن بعضهن بعضاً قبل أن يتوصل الرئيس الجديد لمنعهن.

هناك عدد من القبائل لا يزيد دورها عن الاعتقاد في الشيء مثل بعضها التي تعتقد أن الأبقار تتبع الميت إلى حين يدفن لإعطائه حليباً، وبعضها تعتقد أن الموتى ينتقلون إلى بقاع تكثر فيها حيوانات الصيد وهم من أجل ذلك قد يضعون بعض أسلحة الميت على قبره.

ومن أطرف ما يحكى عن بعض القبائل أنها تعلق ملابس الميت على شجرة بجانب قبره لكي يرتديها عندما يخرج من القبر، ولعلهم إذا خطف الملابس لص أن يقولوا إن الميت خرج من قبره وارتدى ملابسه، ولعلهم أيضاً إذا



بقيت في مكانها أن يقولوا إنه اشترى ملابس غيرها. ومن يبحث عن مثل هذه العادات سوف يجد الكثير ولن يستغرب بعد ذلك ما يشاهده من مخلفات الرومان أو الفراعنة.

❊ ❊ ❊

المهر.. عبر العصور

المهر هو ذلك المبلغ الذي يطلبه الأب. . أو بالأحرى تطلبه الأم مقابل تزويج ابنتها. . ذلك المبلغ سواء كان نقوداً أو أشياء أخرى كالذهب أو الحيوانات كان دائماً ومنذ عرف هذا التقليد محل شكوى الرجال من ارتفاع قيمته. . فمثلاً منذ أكثر من ثمانين سنة وبالتحديد في العاشر من شهر كانون (ديسمبر) سنة 1895 افرنجي ومن وثيقة بدار المحفوظات التاريخية نجد رسالة صادرة من الوالي إلى وزارة الداخلية يقول فيها: إنه في قضاء غريان التابع لمركز الولاية كان العرف الجاري حسب العادة هو أن مهر البنت البكر معادل لثمان وعشرين مرطة شعير وخمس مرطات قمحاً وثمانية وثلاثين أقة زيت ومائة قرش نقداً، وفي نفس الرسالة يضيف: إن المهر قد زاد عن ذلك المقدار فأصبح ثلاثة وأربعين مرطة شعير وثمانية وعشرين مرطة قمحاً وخمسة وتسعين أقة زيتاً وعشر شياه وأربعمائة قرش.

في ختام هذه الرسالة يشرح الوالي للوزارة النتائج التي قد تترتب على تلك الزيادة من تعسر الزواج إلى انتشار الجرائم.

هذا ما كان منذ أكثر من ثمانين سنة فما بالك بالسعر الذي عليه المهر في أيامنا هذه.

وعبر كتب التاريخ نجد أن الزواج كان إجبارياً عند معظم الشعوب القديمة أي أنه أمر لا مفر منه وكان الأعزب مكروهاً في كل المجتمعات.

ونظراً لأن الرجل الراغب في الزواج تربطه صلات وثيقة بأسرته أو لأنه يرغب في خلق علاقات مع أسر أو قبائل أخرى.. أو لأنه يرغب في أن يتيح الفرصة أمام أسرته وأقربائه في كسب مهر مرتفع لبناتهم فإنه في العادة يترك بنات عمه أو قريباته ويعمد إلى الزواج من فتيات من عشائر أخرى أو قبائل غير قبيلته.. ولعله فكر منذ قديم الزمان فيما يترتب عليه زواج الأقارب من ضياع الصفات الحسنة في الجيل الناتج أو لعله فكر في المثل القائل: «إن الأقارب كالعقارب».. ونظراً لضرورة الحصول على منزلة ممتازة كشخص متزوج بين أفراد عشيرته فإنه يلجأ للحصول على زوجة بطريقة أو بأخرى،

وكان لا بد من ركوب المصاعب؛ عليه أن يختار فتاة من عشيرة أخرى وعندما يختارها كان عليه أن يدبر طريقة للحصول عليها. . ولم تكن في المجتمعات القديمة من طريقة سوى الخطف. . وعندما يتم خطف الفتاة كان على الخاطف أن يدبر مكاناً مناسباً لكي يختفيا فيه. . وعند تدبير المكان يبعث الرجل أصدقاءه لمساومة والديها على ثمنها.

يحكى عن إحدى الأمهات أنها ظلت تبكي طويلاً بعد خطف ابنتها ولم تتوقف عن البكاء إلا بعد أن استرضاها عريس ابنتها أو خاطفها ببطانية من الصوف وعندما استلمتها قالت ضاحكة: «هذا كل ما أريده ثمناً لابنتي أردت أن أظفر بهذه البطانية فجعلت أصيح بالبكاء» ليس هذا وحده يكون ثمناً للعروس. . إن هذا مجرد مثال من غانا الجديدة. . أما ثمن العروس فهو يختلف من مكان لآخر فهو قد يكون بقرة واحدة وقد يكون ثلاث بقرات وشاة، وقد يصل عند بعض القبائل الإفريقية الغنية إلى ثلاثين بقرة، إذ عندما يخطف الرجل فتاة كان عليه أن يدفع مبلغاً من المال لاسترضاء أهل الفتاة التي خطفها وكان إذا فشل في ذلك يضطر إلى العمل عند والد العروس فترة

معلومة تحددها قيمة الزوجة، وعند انتهاء الفترة يحق له أن يأخذ زوجته إلى حيث تقيم عشيرته، وأعتقد أن الكثير من العرسان الذين يتزوجون بهذه الطريقة يفضلون الإقامة الدائمة بسبب توافر ظروف العمل.

وعندما تمكن الرجل نتيجة لتقدم الحياة الاقتصادية من دفع مبلغ المهر رضي بدفع المهر الذي كان في الأصل مجرد هدية من العريس إلى والد العروس.

إذن المهر كان مجرد هدية؛ وهذه الهدية المقصود منها حفظ كرامة الرجل من أن يعمل تحت إمرة والد العروس أو أنها منعاً لإراقة الدماء التي قد تترتب على خطف الفتاة وما يحدث في سبيل الحصول عليها من قتال، وهذه الهدية التي كانت عند عدد من الشعوب القديمة لا تزيد عن قوس مع عدد من الأسهم أو إناء لطبخ اللحم والأعشاب، هذه الهدية زادت مع مرور الأيام حتى أصبحت قطعاناً من الأغنام والأبقار وغيرها، وتدريجياً انتقلت الهدية إلى أن أصبحت ثمناً للمرأة.. وشاع الزواج بالشراء في كثير من بقاع العالم، وكان لذلك تفسير منطقي عند عدد من شعوب الأرض وهو أن الأب عليه أن يحصل على مبلغ من المال مقابل تربيته لفتاة مدة تزيد عن الخمسة عشر عاماً.

يحكى عن بعض الشعوب القديمة أنها كانت تقيم معارض للفتيات اللاتي وصلن سن الزواج أمام من يريد الزواج، وعلى طالبي الزواج أن يختاروا وأن يدفعوا الثمن غالياً.

بعض القبائل الإفريقية كانت تزين الفتاة التي وصلت سن الزواج أفخر زينة ثم تعرض على ظهر جواد يطوف بها القرية أو الغابة في جو تفوح رائحته بالعطور لعلها تعجب أحداً قد يدفع فيها ثمناً مرتفعاً، والملاحظ أن المرأة عبر جميع عصور التاريخ القديم لم تقف إلا فيما ندر في مواجهة موضوع زواجها بالشراء بل كانت في معظم الأحوال تفخر بأن زوجها المسكين دفع من أجلها المهر المرتفع، والملاحظ أيضاً أنه بمرور الزمن نلاحظ أن الزوجة تهتم كثيراً بما يدفع من مهور لبنات جنسها، وأحياناً تشتكي من زوجها الذي دفع فيها مهراً أقل من مهر ابنتها التي تزوجت بعدها بعشرين عاماً.

ظهرت عادة أخرى جعلت نظام المهر يسير بالمقلوب وهذه العادة تتمثل في أن يهدي والد العروس إلى العريس هدية مقابل ما أخذه من مهر، هذه الهدية أخذت تزداد قيمتها يوماً بعد يوم حتى وصلت إلى أن يدفع مبالغ زادت

في بعض الأحيان عن ما يقدمه العريس من مهر.

إذن فقد أخذ الآباء يتوسعون في هذه الهدية لكي ييسروا على بناتهم الزواج وبذلك نشأ نظام المهر تدفعه المرأة لخطيبها، واستمر النظامان يسيران جنباً إلى جنب فترة طويلة إلى أن بدأت الحياة الاقتصادية أكثر تعقيداً، وربما زاد عدد بنات الرجل مما يجعله في ضيق من هذه العادة، وبدأ التخلص منها حتى انتهت. كما تغيرت النظرة إلى المهور فأصبح الآباء يفكرون في الحصول على مبالغ أكبر وبدأ البحث عمن يدفع أكثر.. ظناً من أولياء الأمور أن من حقهم الحصول على مبالغ معادلة لما أنفقوا على بناتهم من الولادة إلى وصول سن الزواج.



حديث عن الشاي والقهوة

الشاي وصل حديثاً إلى بلدنا، ومع ذلك فإن المواطنين يشربونه اليوم ربما أكثر من شربهم الماء.

ومن وثيقة بدار المحفوظات التاريخية نجد فيها مخطوطاً يقول: «بين مخلفات يوسف باشا القره مانلي التي تم بيعها لتوزيع ثمنها على الورثة كان يوجد بكرج تيه (براد) (وسكرية) وزوج كواشك (ملعقتان) متاع قهوة (خاصة بالقهوة) وزوج كواشك تيه (ملعقتان للشاي)».

هذا يعني أن الشاي المعروف باسم تيه كان معروفاً لديهم وهذه الوثيقة التي ترجع إلى عام 1835 افرنجي تعتبر أول مرة يرد فيها ذكر للشاي في بلادنا، ومن طريف ما يحكى أن الشاي الذي يشرب الآن في كل مكان وفي كل أوان تقريباً كان إلى مدة قريبة لا يشربه إلا أناس معينون وفي مراسم خاصة، بل وكان الناس يستحون من شربه في

الأماكن العامة، ويقال أن الأب كان لا يشرب الشاي أمام أبنائه منذ مدة قصيرة.

أكتشف الشاي أولاً في أقصى الشرق في الصين.. ومن الصين انتقل إلى جميع بلدان العالم.. من هذه البلدان ما اشتهر بزراعته وبشربه.

ومما يحكى عن الشاي أنه لم يلق نجاحاً عندما وصل إلى اليابان لأن الناس هناك اعتبروه من المواد السامة ورغبوا عن شربه وكان ذلك عام 805 افرنجي إلا أنه بعد مرور ثلاثمائة عام عرف اليابانيون فائدته بعدما تبين لهم أنه من الممكن للمرء بشرب الشاي استعادة اتزانه بعد الدوار الذي يحدث نتيجة لشرب الساكي وهو عصير الأرز.

كان الشاي يقدم إلى المحاربين وإلى الأبطال كهدية تعتبر ثمينة نظراً لغلاء ثمنه. ولشرب الشاي في اليابان تقاليد يعتبرون من الضروري اتباعها منها ضرورة إصدار دعوة للضيوف للدخول إلى قاعة الشاي التي ينبغي دخولها بهدوء والخروج منها بهدوء أيضاً. وكان من الأمور الضرورية ألاً يتحدث الحاضرون أحاديث تافهة بل يجب أن يناقشوا الأمور الهامة فقط.

وكان من طريقة تقديم الشاي أن يوضع مسحوق الشاي

في فنجان كبير يشترط أن يكون ممتازاً في نوعيته ويضاف إليه الماء الساخن ثم يمرر على الضيوف واحداً واحداً ويشرب كل منهم قليلاً وعند الانتهاء من شرب الشاي يمرر الفنجان فارغاً على الضيوف ليفحصوه من الناحية الفنية ويقدم كل منهم رأيه ونقده في صنع الفنجان وزخرفته.

هذه بعض العادات في اليابان فماذا عن الصين.. البلد التي اكتشف فيها الشاي وينمو فيه بكثرة.. كان الشاي يقدم لكل من يدخل البيت وكان يقدم حال الوصول إلى البيت.. ويقال أنه إذا كان صاحب البيت لا يملك شاياً فيحتم الكرم أن يقدم صاحب البيت للضيوف كوباً من الماء الدافىء وعلى الضيف أن يشربه بمزيد من الرضى والارتياح.. وقبل أعوام منعت السلطات الصينية موزعي رسائل البريد من شرب الشاي في البيوت التي يزورونها في جولاتهم اليومية فصارت جولاتهم التي كانت تستغرق اثنتي عشر ساعة تنتهي في ساعتين.

ويقال أن أكثر الناس شرباً للشاي هم الرهبان البوذيون في بلاد التبت وهم لا ينقطعون عن شربه ومعدل ما يشربه الواحد منهم في اليوم يتراوح بين خمسين وثمانين قدحاً، ولكل دير عندهم إبريق كبير للشاي يعادل في حجمه

البرميل الضخم. . ومما يحكى عنهم أن أحدهم كان يعد الشاي فوقع في الإبريق الساخن ومات ميتة شنيعة!.

أعتقد أن الليبيين معقولون جداً في شربهم للشاي إذا عرفنا أن أحد البريطانيين شرب في حفلة واحدة خمسة وعشرين قدحاً.

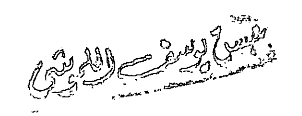
هذا عن الشاي فماذا عن القهوة؟!

اكتشفت القهوة صدفة وكان اكتشافها على يد رعاة الأغنام الذين لاحظوا أن الأغنام عند رعيها في مكان معين تظل ساهرة طوال الليل لا يغمض لها جفن. . عند ذلك اكتشف الرعاة نبات القهوة. . وكان ذلك في الحبشة. . ومنها انتقلت إلى اليمن خلال القرن الخامس عشر واشتهرت بها بلاد اليمن لفترة طويلة ومن اليمن انتقلت إلى باقي أجزاء الوطن العربي وإلى تركيا ثم إلى إيطاليا وفرنسا سنة 1624 افرنجي، وفي بريطانيا افتتح أول مقهى عام 1652 افرنجي أما أمريكا فلم تصلها القهوة إلا عام 1720 افرنجي.

هوجمت القهوة في كل مكان وصلت إليه إذ كانت تعتبر مشروباً مخدراً بل وقد حرمها المسلمون أول ظهورها كما هاجمها رجال الكنيسة أيضاً.

وصلت القهوة إلى ليبيا مع دخول الأتراك ولكنها لم تنتشر كما انتشر شرب الشاي.

لكل من القهوة والشاي عدد من الفوائد منها قدرتها على الإنعاش وتخفيف التعب كما يعتبران علاجاً للصدمات والتسمم.. علماً بأن الإفراط فيهما يسبب عسر الهضم وسرعة التهيج والكآبة.





القمح.. أساس الحضارة

عندما ننظر في سجلات الحضارات القديمة التي أعدها ويعدها علماء الآثار، نجدهم يؤكدون بأن الحضارات قد نشأت في ثلاث مناطق رئيسية من العالم وهي جميعاً على ضفاف الأنهار الثلاثة الكبرى؛ نهر النيل، ونهر الفرات، ونهر الإندوس وتشترك هذه الأنهار في ميزة واحدة مهمة هي أن مياهها تجري في منطقة ذات مناخ حار.

نهر النيل... ويجري بين قطعتين من الصحراء، الأولى تقع غربي النهر وتمتد ما يزيد عن الألفين من الأميال، والثانية عبارة عن شريط ضيق طويل يمتد بين النهر والبحر الأحمر، أما نهر الفرات فيمتد في جزء من الصحراء العربية الكبرى وبين كل من نهري الفرات والأندوس تقع المناطق الصحراوية في كل من إيران والباكستان.

أما شرقي نهر الإندوس فتقع الصحراء الهندية الكبرى، على الأجزاء السفلية من مناطق هذه الأنهار تسقط كمية قليلة من الأمطار، بينما في أعلاها تسقط أمطار غزيرة تسبب فيضاناً موسمياً للمياه على سهول هذه الأنهار بالقرب من مصابها.

على ضفاف هذه الأنهار يمكن للباحث أن يتوقع العثور على مخلفات فجر الحضارة؛ فعلى ضفات نهر النيل وجدت مخلفات مصر القديمة.. وعلى ضفاف نهر الفرات وجدت آثار سومر، وعلى ضفاف نهر الإندوس وجدت مخلفات الهند القديمة.. ولقد تبين مما لا شك فيه اتصال الحضارات الثلاث فيما بينها.. وكانت أهم سبل العيش التي نمت في كل منها متقاربة وتتميز بنظام أساسي يعتمد على استغلال الحبوب واستئناس الحيوانات والحرث وصناعة العجلات التي تستخدم في التنقل كما ظهرت الكتابة وعُملت التقاويم ومن أهم الأمور تم إنشاء المدن.

ويحكي لنا علماء الآثار من خلال كتاباتهم أنه عند ظهور الإنسان وتواجده قبل ظهور الحضارة بمئات الآلاف من السنين.. كانت مشكلته الأساسية هي كيفية الحصول على الغذاء.. وأثناء الزمن القديم من العصر الحجري

القديم كان الإنسان يحصل على غذائه حسب ما تقدمه له الطبيعة. . وقد خطا الإنسان خطوة أساسية عندما اكتشف الزراعة واستأنس الحيوان.

قضى الإنسان وقتاً طويلاً في قتل الحيوان والقضاء عليه مما جعل الحيوانات تتناقص بالنظر إلى زيادة عدد أفراد أسرة الإنسان، وأخيراً وبعد مرور أكثر من أربعمائة ألف سنة فكر الإنسان أن بإمكانه أن يعيش في جو من الصداقة مع الحيوانات وذلك بأن يقوم بحمايتها ويستفيد من إمكانياتها.

واستغرق الإنسان نفس المدة الزمنية ليكون على علم بفائدة البذور، وليعرف أن بقليل من الذكاء يمكن لهذه البذور أن تسهم في صنع مستقبله. . وحتى الوقت الحاضر لم يتمكن العلماء من تحديد دقيق للمكان أو الزمان الذي بدأت فيه طرق إكثار البذور.

ولكن المعروف أن القمح هو أول الحبوب التي ثبت وجودها في سهول الأنهر الثلاثة الكبرى، وأنه قد ساهم مساهمة فعالة في صنع الحضارات القديمة للبلدان الواقعة على هذه الأنهر، وبمعرفة القمح ظهرت عدة صناعات واختراعات على مدى الأيام لزيادة الاستفادة منه. . صنعت

المحاريث وأدوات الحصد والدراس والطحن.. بنيت المخابز وأفران الخبز وصنعت عربات النقل.. وفرض على الإنسان أن يفكر دائماً في الأحسن، إذ قد ساهم كل عمل من هذه الأعمال في تنشيط أعمال أخرى.. استغرقت هذه الأعمال بالطبع زمناً طويلاً ولكنها كلها بدأت بمعرفة الإنسان للقمح وغيره من الحبوب.

انتشر القمح على ضفاف الأنهار فيما بين 5000 ـ 4000 سنة قبل المسيح ثم انتشر شرقاً إلى الصين سنة 2500 قبل المسيح، وانتشر غرباً إلى إنجلترا سنة 2000 قبل المسيح وبعد ذلك إلى باقي أجزاء العالم.

جذور العادات

تتغير العادات، والتي تمثل في مجموعها أخلاق الفرد، بتغير المكان والزمان. . أما عن تغير المكان فهذا أمر طبيعي لأن من يعيش في أمريكا أو في اليابان له من العادات والتصرفات ما نستهجنها نحن سكان إفريقيا وبالعكس. والأغرب هو تغير العادات في نفس الزمان أو في أزمان متتالية.

تؤثر ضرورات الحياة اليومية وثقافة الإنسان في عادات الإنسان أكبر تأثير. . فما كنا نراه بالأمس أمراً غير مستحب ترانا اليوم نقبل عليه إقبالاً منقطع النظير. فمثلاً في يوم من الأيام وفي بلدنا بالذات كان الناس يسخرون ممن يرتدي الملابس الأوروبية ويقولون عنه إنه مخالف للعادات والتقاليد، أما اليوم ـ ما عدا في بعض المناطق ـ أصبح المستهزءون بالأمس يتنافسون في ارتداء آخر صيحات الموضة القادمة من أوروبا.

ولكل مجتمع من المجتمعات المتباينة في هذا العالم عاداته الخاصة به ولكل عادة تاريخ، وفي مجتمعنا كثير من العادات التي ترجع في أصولها إلى جذور عميقة.. إلى آلاف السنين.

وكثيراً ما كنت أعجب من هذه العادات وأستغرب كما يستغرب الكثير من الأصدقاء الذين حاولوا وضع تفسيرات لها.. وبالبحث عن أصول هذه العادات لاحظت أنها تعود إلى فترات بعضها يصل إلى فترة ما قبل ظهور الدين الإسلامي، ويحدثنا الدكتور (جواد علي) في كتابه الضخم عن تاريخ العرب قبل ظهور الإسلام عن عدد من هذه العادات والتي ما زال كثير من الناس يؤمنون بها إيماناً راسخاً. منها تعليق مرارة شاة عيد الأضحى ليكون ذلك العام عام خير وبركة، وكذلك غطس اليد في دم شاة العيد ووضع علامات بالدم على جدران المنزل.

إذا أراد أهل البيت عدم رجوع شخص إلى بيتهم مرة ثانية فإنهم يعمدون إلى كسر شيء من الأواني وراءه بعد خروجه، وما زال الكثير من الناس حتى أيامنا هذه إذا بنى منزلاً أو اشترى جملاً أو سيارة أو حفر بئراً فتدفقت منه المياه.. نجده يذهب إلى السوق لشراء شاة قد تكلفه

الكثير ويذبحها. . كانت هذه الذبيحة تسمى عند العرب ذبيحة الطيرة أو ذبيحة الجن، وقد جاء الإسلام فنهى عنها ومع ذلك ما زال الكثيرون يقومون بها.

الحسد والعين أيضاً، يفعل الناس الكثير لدرء هذا الخطر غير المرئي وقد كانوا يعلقون سن الثعلب أو سن قط على الصبي خوفاً عليه، ومن منا عندما كان صغيراً لم يسمع أهله، ينصحونه؛ إذا سقطت له سن، بقولهم «ارمها في اتجاه الشمس وقل أن تعطيك الشمس سناً أحسن منها، ومن منا عندما تصاب عينه بالخراج في الجفن لا يذهب لرمي قطعة من العملة أو أي شيء يخصه في الشارع ويعتقد بأنهِ لن يشفى إذا لم يفعل ذلك.

وماذا عن القتل. . إذا كنا اليوم نقبض على الشخص القاتل الذي يرتكب الجرائم في حقوق النفس البشرية. . نقبض عليه ليقدم للمحاكمة ليتم القصاص منه، فإننا بالاطلاع على كتب التاريخ، نجد أنه بعكس أيامنا هذه كان القتل شيئاً مستحباً عند عدد من الشعوب القديمة، وكان الرجل الذي يعود من الصيد البشري بأكبر عدد من الرؤوس يمكنه أن يختار من يشاء من فتيات القبيلة أو القرية، وكانت الفتيات يفضلنه باعتباره شخصاً شجاعاً، بل

كانت المرأة في بعض القبائل ترفض أن تتزوج من رجل لم يقتل أحداً في حياته، بينما كانت بعض القبائل الأخرى تأخذ مثل موقفنا اليوم. أخشى أن يأتي يوم ترفض فيه المرأة في بلادنا أن تتزوج شاباً لم يقتل آخر في حادث قيادة سيارة.

وإذ كنا نعجب اليوم من الألماني الذي انتحر بأن ألقى نفسه من فوق أحد الأبراج بسبب خسارة فريق بلاده لكرة القدم، فإن عجبنا سيزول إذا قرأنا ما كتبه (ول ديورانت) في كتابه قصة الحضارة عن شاب في إحدى جزر غينيا الجديدة انتحر لأنه اكتشف أن زوجته دخنت كل ما لديه من تبغ.



الإنسان والحقيبة

يزداد سعر الحقائب ـ بجميع أنواعها ـ يوماً بعد يوم وتزداد مشكلة نقل الأمتعة عند راغبي السفر تعقيداً، وهذه المشكلة التي تتفاقم في هذه الأيام صاحبت الإنسان بدرجات متفاوتة عبر العصور، والإنسان وحده دون جميع مخلوقات الله جل وعلا الذي يلاقي المتاعب في نقل الأمتعة، فالحيوانات لا تحمل إلا قليلاً من الأكل إلى أوكارها في المرة الواحدة، حتى الحيوانات المهاجرة لا تحمل معها شيئاً أثناء هجرتها.

تبين لنا الاكتشافات الأثرية أن الأشياء التي كان الإنسان يحملها معه قد تباينت عبر العصور.. ففي العصور البدائية كانت الفؤوس والسكاكين الحجرية والأصداف وثمار النباتات.. ثم بدأت تتعدد الأشياء بمرور الزمن، وعندما اكتشف الإنسان النار كان عليه إما أن يحمل معه ناراً متأججة طوال الوقت أو أنه وبعد أن عرف طريقة إشعال

النار أن يحمل معدات الإشعال كما نحمل علبة الكبريت في أيامنا هذه.

بمقارنة ما تم الكشف عنه من بقايا الشعوب البدائية تبين أن السكان البدائيين في المناطق الحارة من قارة آسيا هم أقل الناس نقلاً للأمتعة أثناء رحيلهم من منطقة إلى أخرى ويشبههم في ذلك سكان صحراء جنوب إفريقيا.

تُرى لماذا لا يحمل سكان هاتين المنطقتين أشياء كثيرة معهم أثناء تنقلهم!.. السبب هو عدم وجود وسائط نقل كالحيوانات المستأنسة لتنقل أمتعتهم.. كما أن طبيعة حياتهم كأناس صيادين لم يتعودوا الزراعة تعتبر سبباً آخر.

تجعل طبيعة الاعتماد على النفس في كل شيء من كل فرد ـ رجلاً كان أو امرأة ـ مسؤولاً عن نفسه في حمل ما يحتاج إليه من أمتعة شخصية.

أما سكان المناطق التي تم فيها استئناس حيوانات مثل المناطق الشمالية من سيبيريا فقد اعتمدوا على الكلاب وحيوان الرنة في جر عربات تحمل الأمتعة.. وهذه الطرق ما تزال مستعملة حتى اليوم في هذه المناطق وبذلك زاد حجم الأشياء المنقولة وتنوعت من مأكولات ومشروبات وملابس وغيرها.

أما في البلدان التي استؤنست فيها الخيول والإبل كالبلدان العربية والآسيوية فقد كثرت المواد المحمولة وزاد حجم الحقائب وتنوعت أشكالها.

ولتنوع الأشياء التي يحملها الشخص معه في حقيبته وكثرتها أو قلتها أثر على الحضارة في المنطقة التي تُحمل إليها الحقيبة، وعلى هذه الأساس يركز علماء التاريخ على معرفة أنواع الحقائب والسلال ومحتوياتها وكأن الحقيبة هي وعاء الحضارة المتنقل.

صنعت السلال والحقائب من مواد مختلفة؛ من أغصان النباتات ومن سعف النخيل في مناطق الواحات ومن جلود الحيوانات في مناطق الصيد ومن الورق بعد اكتشافه ومن العديد من أنواع الأخشاب والمعادن وأخيراً من اللدائن.. «البلاستيك».

يعتبر الصندوق المستعمل لنقل ملابس وجهاز العروس عند انتقالها إلى بيت الزوجية والمعروف في معظم أجزاء الشمال الإفريقي من أجمل أنواع الحقائب صنعاً وزخرفة.

زاد خلال هذا العصر عدد أنواع الحقائب وتعددت أحجامها خاصة بعد تعدد سبل المواصلات في البر والبحر والجو وزيادة إقبال الناس على الرحلات نتيجة لذلك.



تبادل تجاري

مر التعامل التجاري بين الناس بمراحل كثيرة قبل أن يصل إلى ما هو عليه اليوم من تعامل بالنقود أو بالصكوك.

يقول المؤرخون إنه في البدء كان التعامل بين الناس عن طريق المبادلة.

كانت المبادلة تسبب مشاكل كثيرة أهمها ضرورة العثور على شخص مستعد للتنازل عما عنده مقابل ما يعرض عليه.. وفيما يلي مثال عما كان يواجهه الناس في سبيل الحصول على حاجاتهم.

يحكى أن أحد الرحالة أراد يوماً شراء قارب ليقوم برحلة في أحد الأنهار الإفريقية.. بحث كثيراً عن قارب، وعندما وجد القارب الذي يحتاجه عند أحد المواطنين، اكتشف أن صاحبه على استعداد لمبادلة قاربه بقطعة من العاج ولا شيء غير ذلك، ولم يكن لدى ذلك، الرحالة

قطعة العاج المطلوبة ثمناً للقارب ولكنه كان يملك قطعة من قماش فذهب وبادلها مع شخص آخر بقطعة من العاج ثم حمل قطعة العاج إلى صاحب القارب لكي يتمكن من الحصول على القارب.

هذه القصة مجرد مثال واقعي، وربما لم تستغرق عملية التبادل فيها أكثر من ساعات.. ولكن ما كان يحدث هو أن عملية التبادل قد تستمر أياماً طويلة لكي يحصل المرء على الشيء الذي يريده.

عرفت عبر التاريخ أشكال مختلفة للنقود أو بمعنى آخر للمقابل الذي يؤخذ ثمناً لبضاعة معينة أو يؤخذ مقابل خدمات تنجز.. فمثلاً عرف عند قدماء الهنود الحمر سكان أمريكا الشمالية نوع من النقود عبارة عن قطع ضخمة من الحجارة على شكل عجلات كبيرة ذات فتحة في وسطها وكانت ذات أحجام مختلفة وكانت تقدر ثروة الشخص بما يملكه من هذه العجلات الضخمة.

كثيراً ما يحدث أيضاً أن يسبب ما يحصل عليه الشخص مقابل الخدمات التي يؤديها عدداً لا يحصى من المتاعب مثل ما يحدث في المزارع.. حيث يحصل العامل على كمية من الحبوب مقابل تأدية عمل الحصاد أو الدراس أو

غيرها.. وتسبب له كمية الحبوب هذه عدداً من المتاعب في نقلها وخزنها ومبادلتها.

ومثال آخر: يحكى أنه في إحدى البلدان التي لا يعرف أهلها النقود في إحدى جزر المحيط الهادىء؛ اشتركت إحدى مغنيات المسرح في مسرحية، وكان أن حصلت على أجرٍ لها هو عبارة عن ثلاثة خنازير وثلاثةٍ وعشرين ديكاً رومياً وأربعٍ وأربعين دجاجة وخمسة آلاف قطعة من جوز الهند وأصابع الموز وحبات البرتقال والليمون.. وبدأت مشكلتها في الطريقة التي تستفيد بها من هذا الأجر المرتفع الذي استطاعت الحصول عليه، ولما كان من الصعب أن تحملها معها عند عودتها.. فقد أعطت الفاكهة طعاماً للخنازير والدجاج.. ثم تنازلت عن الحيوانات لأهل الجزيرة وعادت كما جاءت.

يقال أن الملح استعمل في فترات من التاريخ كمقابل لتأدية خدمات معينة.. ويحكى أنه هو الأصل في كلمة راتب الأجنبية والتي تنطق في اللاتينية بمعنى سالير حيث كان الملح يعطى كراتب للجنود في المناطق التي يندر فيها وجود الملح.

القواقع استعملت أيضاً كمقابل أو بدلاً عن النقود لفترة

طويلة.. وقد عثر ضمن الوثائق التي تحويها دار المحفوظات التاريخية بطرابلس، على وثيقتين يظهر فيهما كيف كان التعامل بين التجار ونوع العملة المستعملة في ذلك الوقت وذلك المكان.. وهي مؤرخة في عام 1893 افرنجي، من نص الوثيقة الأولى نجد أن فيها ما يدل على أن بذمة التاجر شريف الوافي ابن صويعي للتاجر حسن الضفايري المقيم بطرابلس أربعمائة وخمسة وعشرون ألف ودعة أي قوقعة أو صدفة؛ وذلك ثمن بضاعة اشتراها منه.. وفي نهاية الوثيقة توقيع الشهود، أما في الوثيقة الثانية ما يثبت أن كلاً من التاجرين الزروق بلعيد السوكني وابن زين العابدين عليهما وفي ذمتهما للتاجر حسن الضفايري مبلغ أربعة ملايين وثمانمائة وسبعين ألف ودعة ثمن بضاعة مختلفة.. وفي نهاية الوثيقة توقيعات عدد من الشهود.

وقد يستغرب القارىء هذه الأرقام وأنا لست أقل منه استغراباً، وخاصة فيما يتعلق بإحصاء هذا العدد الكبير من الودع أو القواقع، والغريب أيضاً أنها كانت تستخدم بديلاً عن العملة في تلك الفترة وفي هذا المكان من العالم.

كما اكتشفت حديثاً في جنوب الجزائر مخازن كثيرة

جمعت فيها أصداف من عدة أنواع.. وتبين من أحد هذه المخازن أنها كانت تخص أحد الأغنياء، ولا بد أنه أفنى عمره في جمعها.

ارتبطت الأصدافُ أو القواقع بالإنسان منذ قديم الأزمنة فقد استعملت منذ فجر الحضارة في الغذاء أو في الزينة كما استعملت بديلاً عن النقود.

ترى لو عاد استعمال القواقع بديلاً عن النقود.. ماذا يمكن أن يحدث؟!

أعتقد أن البحر سيمتلىء بالغواصين بحثاً عن القواقع ومن لا يعرف العوم مثلي سيبحث عن قواقع برية؟!

* * *

بناء الآثار

لعلك تساءلت يوماً عند زيارة الآثار في لبدة أو صبراته أو شحات أو جرمه أو غيرها من الآثار التي خلفها الأقدمون وتنتشر في العديد من البلدان، ولعلك أيضاً تتساءل عند زيارة الأهرامات المصرية أو عند رؤية الأعمدة والتماثيل الضخمة المنتشرة في كل مكان على ظهر كوكبنا الأرض المتسع.

لعلك تساءلت عزيزي القارىء عن الأسباب التي دعت هؤلاء القدماء لعمل مثل هذه الأعمال، وعن الطريقة أو الطرق التي شيدت بها خاصة وأنه حسب تاريخها قد بنيت في وقت لم يكن يملك فيه الإنسان أي رافعه كتلك المستعملة حالياً في بناء المساكن والعمارات وناطحات السحاب.

تلاحظ عند زيارة المدن الحديثة وعند الصعود إلى

العمارات العالية أن المهندسين والبنائين الذين قاموا ببنائها قد استخدموا في ذلك روافع حديثة، واستخدموا الإسمنت المسلح وقطع الحجارة التي لا تزيد أطوالها عن الخمسين سنتيمتراً. . هذه الحجارة بحجمها هذا تعتبر تافهة جدّاً إذا قيست بتلك الصخور التي قطعها القدماء من الجبال ونقلوها من مئات الكيلومترات إلى أماكنها بواسطة القوة الجسمانية وحدها، ومثال على ذلك ما عثر عليه في منطقة ستون هنج الواقعة على بعد ثمانين ميلاً إلى الغرب من مدينة لندن، حيث استطاع الناس البدائيون أن يوقفوا في وضع عمودي عدداً من القطع الحجرية يبلغ ارتفاع الواحدة منها أكثر من سبعة أمتار كما استطاعوا أن يضعوا فوقها وفي وضع أفقي حجارة أخرى يزيد طولها عن الخمسة أمتار. . لقد استطاع هؤلاء القيام بهذا العمل بقدرتهم البشرية وبدون الاستعانة بأية حيوانات أو أي شيء من الوسائل التقنية الحديثة المعروفة حالياً.

فكيف أمكن للقدرة البشرية التي يملكها الناس القدماء أن تساعدهم في مثل هذا العمل الشاق؟

يجيبنا علماء الآثار على هذا السؤال بقولهم: «إن القدماء استطاعوا القيام بهذا العمل وغيره بأصعب الطرق

مجهوداً وأبسطها فكرة»؛ يرجح العلماء أن القدماء قد بنوا طريقاً مائلة وجروا فوقها الصخور باستخدام مزالج من الطين كمادة ملساء، وفي المرتفع كانوا يقلبون كل صخرة منها لتنزل في حفرة أعدت لها، لتقف في وضع عمودي وبعد ذلك تجر باقي الصخور التي ستوضع في وضع أفقي.. ونفس هذه الإجابة يمكن أن تقال بالنسبة لغير سْتون هنج من المباني الأثرية القديمة التي استخدمت فيها الحجارة الكبيرة الحجم.

والهرم الأكبر الموجود في مصر والذي يعتبر إحدى عجائب العالم القديم السبع، هذا الهرم ما هو إلا كتلة صلبة من الأحجار الجيرية، ويغطي ما مساحته ثلاثون هكتاراً ويبلغ وزن الأحجار الإجمالي التي بني بها حوالى الخمسة ملايين من الأطنان نقلت كلها بواسطة القوة البشرية حيث لم يكن لدى قدماء المصريين أي جرارات أو روافع لتسهيل القيام بهذا العمل.. ولعل أهم عامل ساعدهم هو وجود القنوات النيلية التي سهلت النقل إلى حد ما باستعمال القوارب.

كَتَبَ عن الأهرام عالم الآثار (لودلوبول) سنة 1924 افرنجي - وكان قد قضى فترة في دراسة الحضارات

المصرية القديمة «إن حضارة الفراعنة نمت نمواً كبيراً في الفترة التي سبقت حكم خوفو، إلى درجة أن خوفو أصبح قادراً على أن يجعل مائة ألف شخص يعملون بين عشرين وثلاثين سنة، لكي يتمكنوا من قطع مليونين ونصف مليون قطعة من الحجر الصلد تزن الواحدة منها ما بين اثنين وخمسة من الأطنان، ثم تنقل هذه القطع لعمل بناء يغطي ما مساحته ثلاثون هكتاراً ويبلغ ارتفاعه عن الأرض مائة وخمسون متراً. كل هذا لتحفظ بداخله جثة إنسان ميت، حيث إنه كما هو معروف أن الأهرام قد بنيت لتكون مدافن لملوك الفراعنة».

وجدت أيضاً للفراعنة عدة تماثيل يبلغ ارتفاع الواحد منها أكثر من عشرين متراً ويزن مئات الأطنان وهذه قطعت من الجبال ثم نقلت إلى الأماكن التي تم العثور عليها فيها.

ظهرت كثير من الآراء التي تحاول تفسير الطريقة التي تم بها بناء المنجزات العملاقة القديمة كالأهرام وغيرها ولكن طريقة المرتفع المبني بالطين تعتبر أكثر الطرق قبولاً لدى المهتمين بهذا الموضوع.



تاج محل.. أثر معماري رائع

تاج محل. . مبنى شهير بالهند، يبذل الناس من جميع أنحاء العالم مشاق كبيرة في السفر إليه للتمتع بمشاهدته ورؤية الحدائق الغناء والبرك والنافورات المحيطة به.

يضم هذا المبنى رفات الامبراطور شاه جيهان ورفات زوجته «ممتاز محل» ويعتبر هذا المبنى من أجمل المباني ليس في الهند وحدها. . بل في العالم كله.

قبل أن نتحدث عن هذا المبنى يحسن أن نتتبع تاريخ الشخص الذي أمر ببنائه، وهو الامبراطور شاه جيهان، ونعرف السبب الذي من أجله تم بناء هذا المبنى، ورغم تعدد الروايات إلا أن أقربها للحقيقة رواية المؤرخ (ول ديورانت) مؤلف قصة الحضارة رغم ما في كتابه من تحامل شديد على الدين الإسلامي الذي انتشر انتشاراً واسعاً في الهند في تلك الفترة.

يحكي هذا المؤلف في كتابه عن مؤامرات كثيرة حيكت لملء مكان الامبراطور (جيهان كير) والد شاه جيهان بسبب إهماله في واجبات حكمه؛ ويضيف بأن شاه جيهان قد تمكن عام 1622 افرنجي من أن يعتلي العرش عند وفاة والده بعد أن استطاع التخلص من جميع منافسيه.

كان والد شاه جيهان قد رفض أن يتزوج ابنه من فتاة من أسرة فقيرة، كان قد أحبها شاه جيهان حباً يفوق كل وصف فلما استطاع شاه جيهان الوصول إلى الحكم تزوج من الفتاة التي أحبها وهي المسماة ممتاز محل ويعني اسمها زينة القصر.

ورث شاه جيهان عن والده حب الإسراف.. واعتنق الدين الإسلامي وأخذ يحطم أضرحة الهندوس تحطيماً واسع النطاق وبنى بدلاً منها العديد من المساجد، وكان متحمساً للفن متذوقاً له.. وقد تميزت الهند في عهده بأجمل فن معماري لا تزال كثير من شواهده واضحة إلى يومنا هذا.. وفي مقدمة هذه المباني مبنى تاج محل موضوع حديثنا هذا.

يقول (ول ديورانت) عن المرأة التي بنى من أجلها تاج محل: إنها أنجبت لزوجها أربعة عشر طفلاً في ثمانية عشر

عاماً ثم قضت نحبها في سن التاسعة والثلاثين أثناء ولادتها آخر الأطفال. وقد حزن شاه جيهان من أجل زوجته كثيراً وقرر أن يبني لها قبراً لا مثيل له، فبنى بناء تاج محل في مدينة (آجرا) ولفظة تاج محل تعني جوهرة المباني.

تقول إحدى الأساطير الهندية: إن زوجة الامبراطور قد رأت البناء في منامها قبل إنشائه وإنه كان من الوضوح بحيث إنها تذكرته في يقظتها، وإنها حدثت الامبراطور بما رأت فقرر إقامته على الفور.

استغرق بناء هذه المقبرة أكثر من اثنين وعشرين عاماً بواسطة عدد يزيد عن سبعة عشر ألف عامل، شيد معظم المبنى من المرمر الأبيض على مصطبة غطى سطحها أيضاً بالمرمر الأبيض وعلى كل زاوية من زوايا المصطبة أقيمت مئذنة يبلغ ارتفاعها سبعة وثلاثين متراً يحيط بدائرة كل منها ثلاث شرفات.

يرتفع الضريح في وسط المقبرة في شكل رباعي وفي وسط المبنى (فوق الضريح) تظهر القبة التي يزيد ارتفاعها عن عشرين متراً.

نقش على جدران الضريح آيات من القرآن الكريم وحلي بعضها برسوم الأزهار ونقوش الفسيفساء.

في هذا المبنى الذي يعتبر من أجمل المباني في العالم
يثوى الآن جثمان الامبراطور شاه جيهان. . وزوجته ممتاز
محل التي أنجبت أربعة عشر طفلاً دون كلل.

والذي يزار الآن كرمز للمحبة الصافية

❊ ❊ ❊

الإنسان.. والموسيقى

صنع الإنسان الموسيقى منذ الأيام الأولى لتواجده على الأرض، ورغم الظروف التي كان يمر بها إلا أنه وجد لذة كبيرة في الإيقاع، ربما قبل معرفته لأي فن من الفنون الأخرى؛ كان يحاول تقليد أصوات الحيوانات من صياح وتغريد، وكذلك الصوت الناشيء عن مشيها أو قفزها.. وأثناء تقليده لها عرف الرقص.. وعرف الغناء.. ومن الرقص والغناء معاً نشأ العزف الموسيقي وكان تعبيراً عن الرقص.

تمكن الإنسان البدائي من صنع آلات موسيقية محدودة المدى والأداء، ولكنها من حيث عدد أنواعها كانت لا تقع تحت حصر، وقد بذل الإنسان جهوداً في صنع الأبواق بأنواعها وكذلك الطبول والنايات، كان يصنعها من الأخشاب ومن الأصداف ومن قرون الحيوانات وجلودها.. كما صنعها من النحاس وغيره من المعادن،

وبذل مجهودات كبيرة في زخرفتها وتزيينها بالألوان والنقوش الدقيقة، وبمرور الزمن تعقدت بعض هذه الآلات وبعضها الآخر بقي على حالته الأولى ولكنها كانت مضبوطة تماماً حسب النغمات المطلوبة منها. والدافع لخلق الموسيقى له جذور عميقة أكثر من مجرد الرغبة في قضاء أوقات ممتعة، فقد استعملت الموسيقى كوسيلة اتصال بين الأشخاص، كما استعملت في محاولات اتصال الإنسان بربه أي أن الموسيقى استعملت في الأغراض الدينية، وحتى في المجتمعات الحاضرة لا تزال بعض بقايا العادات التي كان يقوم بها الإنسان في الماضي مستعملة حتى يومنا هذا. . ومنها الأجراس المستعملة في الكنائس لدعوة المصلين للصلاة، وكذلك التراتيل الدينية واستعمال الأرغن أو النفير لاستدعاء الجنود في المعسكرات، ودقات الطبول للاتصال عند الأفارقة.

ظهر في كل مكان من العالم عدد من الخرافات حول التصفير وهو مكروه في معظم بلدان العالم. . كما ظهرت بعض المعتقدات حول القوة السحرية للصفارات والنايات كآلات موسيقية هوائية. وربما يكون السبب في هذه المعتقدات أن الموسيقى الناشئة عن هذه الآلات تعتمد

على الهواء الصادر من جسم الإنسان بالنفخ، ومهما كان السبب فقد استعملت هذه الآلات عند عدد من الشعوب القديمة، ومنها الصفارات المصنوعة من العظام والتي استعملها الهنود الحمر في أمريكا وكذلك (الفلوت) وهو آلة شبيهة بالمزمار المستعمل في بلدان شمال إفريقيا، ولكنه مصنوع من الفخار، وقد استعملت في كل من المكسيك والهند أنواع شبيهة بها في أغراض دينية بحتة.. وفي جنوب إفريقيا استعملت الآلات الهوائية لغرض جذب الأرواح الطيبة الخيرة التي تحمي الأشخاص من الأرواح الشريرة.

لم تكن الموسيقى لمجرد الترويح عن النفس أو الاتصال بالأرواح فحسب، بل هي أيضاً ذات استعمالات مختلفة في هذا العالم، وخاصة الآلات الهوائية البدائية التي تعتبر أكثر استعمالاً في الحياة اليومية، فمثلاً الطبول والأجراس كانت تستعمل لنقل الرسائل الصوتية كما استعملت الأبواق لتحديد أماكن الفرائس المطلوب صيدها عند القبائل التي تعتمد في حياتها على الصيد.

أما الآلات الموسيقية الوترية فقد نشأت ونمت في الشرق القديم أي في الهند والصين واليابان وقد لوحظ

نموها بسرعة وازدياد عدد أنواعها، ووصلت إلى درجة كبيرة من التعقيد مما قلل من قيمتها العملية، وإذا دققنا النظر عبر الآلات الوترية وطبيعة أدائها للألحان سنرى أنه من الممكن أن تكون العلاقة بينها وبين العوالم الخفية لا تكاد تختلف عن الآلات الهوائية.

لذا أمكن التحكم في أنواع النغمات الصادرة عن الآلات الموسيقية الوترية بإطالة الأوتار أو تقصيرها عن طريق تحريك الأصابع على الأوتار حركات منتظمة للحصول على النغمات المطلوبة، وبواسطة هذا التحكم في النغمات الصادرة ظهرت عدة طرق لاستعمال بعض الآلات الوترية في أوقات معينة وفي حالات معينة.. فمثلاً في الهند القديمة كانت هناك مقاييس لهذه الآلات مخصصة فقط لموسم الأمطار، وكانوا يقولون بأن هذه الأنغام لها تأثير خاص على سقوط المطر، أما اليوم فلا تعد هذه من الأمور الهامة لدى سكان الهند الجدد ولكنهم ما زالوا يعتقدون أن هناك نغمات خاصة تنتج حركات معينة لها اتصال بحالات معينة لدى سامعيها، وهذه النغمات كما يقولون لا يمكن الحصول عليها إلا من الآلات الوترية.

جاءت الآلات الوترية إلى إفريقيا من الشرق كما يقول

عدد من الباحثين، رغم أن فكرة تحريك الأوتار لإصدار نغمات عنها، وفكرة استعمال الآلات الوترية وانتشارها في هذه القارة بعدد كبير، كل ذلك يجعل المتتبع لتاريخها يكاد يجزم بأن أصلها إفريقي، ولعل أشهرها القيثار الإفريقي.

بالإضافة إلى دور الموسيقى في التراتيل الدينية والمعتقدات السحرية لها أيضاً دور تثقيفي؛ فقد أثرت الموسيقى على البلدان التي تظهر فيها الأمية بشكل واضح سواء في المجتمعات البدائية قديماً أو في العصور الوسطى بأوروبا، فمثلاً المغنون على القيثار والذين يتجولون في القرى والمدن يغنون أثناء تجوالهم عن كل شيء، عن النصر في الحروب، وعن الفخر بالقبيلة أو الوطن، كما يغنون عن الأعمال الزراعية والصناعية المختلفة، وأيضاً عن العادات الاجتماعية مما يجعل المواطن على اهتمام كبير بكل أحداث الماضي ومتشوقاً إلى المستقبل الجميل المشرق الذي يصوره خيال المغني برفقة الأنغام الموسيقية ويجعلهم على علم بكل التراث الثقافي.

بعد زمن من البدايات البسيطة التي قام بها الإنسان في صنع الآلات الموسيقية التي أخذت تتطور مع مرور الأيام

تمكنا في هذه الأيام من الاستمتاع بأجمل الألحان الموسيقية كألحان السيمفونيات الشهيرة لبتهوفن وغيره، وكما بدأت الموسيقى لإمتاع الإنسان فهي لا زالت تؤدي دورها كما بدأته خير أداء.

* * *

الرسم على الصخور

تحدث كثير من الكتّاب عن الرسوم التي وجدت على الصخور، وتناولها كثير من العلماء بالتحليل الدقيق، كما قضى عدد كبير من الباحثين سنين طويلة راقدين على ظهورهم في كهوف مظلمة ينقلون تلك الرسوم على أوراق، ويلتقطون لها الصور، لتنشر فيما بعد، وتجد من العناية بها ما لم يجده أي بحث آخر.

لعل من أسباب أهمية هذه الرسوم محاولة استشفاف الأسباب من وراء رسم الإنسان القديم لها، خاصة وأنها قد عثر على معظم هذه الرسوم في كهوف مظلمة يصعب الدخول إليها.

تخيل معي أيها القارىء قاعة عرض للتحف تمتد عبر قارة كبيرة وليست داخل متحف ذي أربعة جدران، قاعة عرض مملوءة بآلاف من المعروضات.. كل عرض منها

عبارة عن جوهرة أو مجموعة من الجواهر الثمينة، قاعة عرض تمتد عبر سفوح الجبال وفي الوديان والكهوف. . هذه القاعة هي معرض أعمال الفنان القديم. . الإنسان الأول؛ تجدها ممتدة عبر أجزاء إفريقيا من صحراء الجزائر إلى جبال التبستي وعبر زامبيا وزمبابوي إلى جنوب إفريقيا وصحراء كلهاري.

نشر الفنان الأول أعماله الفنية على شكل رسوم جدارية على جدران الكهوف التي كان يأوي إليها، وهذه الأعمال ظلت محفوظة دون أن يطرأ عليها أي تغيير بواسطة عوامل التعرية من رياح أو أمطار.

داخل هذه الكهوف عاش الإنسان القديم حياته بأفراحها وأحزانها، وداخلها عزف موسيقاه، وصنع أسلحته ومعظم الأدوات التي بقيت على مر العصور كشاهد على ما وصل إليه فن الابتكار. . وداخل هذه الكهوف أوقد النار ليشوي لحوم الحيوانات التي اصطادها وداخلها أيضاً عاش فترات اليأس عند عودته من رحلة الصيد بخفي حنين. . على جدران هذه الكهوف حاول التعبير عن مشاعره. . ولعل أول الأشياء التي كانت تشغل فكره ليل نهار هي مشكلة الحصول على الطعام الذي كان يتمثل فيما يصطاده من

حيوانات، وتلك كانت مشكلته الأساسية، ثم تليها أفكار الدين والسحر، ثم مشاكل الحروب والمعارك مع أعدائه، وخاصة من الحيوانات المتوحشة.

بهذه الأفكار طبعت أول الرسوم التي وجدت في الكهوف التي اكتشفت في أوروبا والكهوف التي اكتشفت في جنوب إفريقيا ومعظمها تمثل الواقع كما يراه الفنان، أي أنه يحاول أن يعطي للحيوانات المرسومة نفس حجمها في الواقع.

والمتجول في إفريقيا وفي الكهوف التي وجدت رسومات على جدرانها يمكنه أن يشاهد اختلافات كثيرة في نوع الحيوانات المرسومة، فالفنان في القسم الجنوبي من إفريقيا رسم الغزلان والزراف والأفيال والفهود والأسود وما يشاهده عبر الغابات. . هذه الحيوانات لا تزال تتواجد حتى يومنا هذا. . بينما نجد في الجزء الشمالي من هذه القارة وخاصة في مناطق التبستي والتاسيلي شيوع عينات مختلفة من الحيوانات من أشهرها الخيول والإبل. . والعربات، كما نجد رسوم الأشخاص متوافرة بكثرة. . أكثر منها في مناطق إفريقيا الجنوبية.

لوحظ من دراسة أعمال الإنسان الفنية سواء كانت نقشاً

على الصخر أو تصويراً بالألوان أو غيرها أنها ذات أهمية في تحديد تطور هذه الأعمال. ولوحظ أيضاً أن أقدم الصور كانت تُرسم وتلون بطريقة ساذجة وأنه بمرور الزمن أصبح الفنان أكثر وثوقاً بفنه وأصبحت الألوان أدق وأكثر تعبيراً.

في البداية كان الفنان الأول لا يرسم سوى الخطوط الخارجية لأشكال الوحوش التي تعود على صيدها ثم بدأ يكتسب المهارات الفنية، وأخذ يبدع في اختيار الألوان المناسبة التي كان يحصل عليها من الرواسب الطبيعية لأكسيد الحديد الأحمر وكربونات الحديد المتدرجة من اللون الأصفر إلى البرتقالي، وكان يحصل على اللون الأسود من الفحم الناتج عن حرق العظام، وكانت مواد الألوان هذه تطحن وتخلط بدهون الحيوانات والآن.. لماذا كلف الإنسان القديم نفسه كل هذه المتاعب، ليرسم وينحت أشكال الحيوانات داخل كهوف مظلمة، يصعب الدخول إليها.. وتنتشر هذه الرسومات عبر آلاف الكيلومترات؟ ولماذا اختار أن يرسم داخل الكهوف المظلمة التي تصعب فيها الرؤية وحيث لا يطيب فيها عيش لإنسان.

هناك عشرات من التفاسير لدى الأشخاص الذين قاموا بدراستها: ولكن أيها أقرب إلى الحقيقة؟

هل السبب هو الفن من أجل الفن؟ أم هو لزينة الكهف مكان إقامة الرسام؟

ولكن لوحظ أن معظم الرسوم كانت لحيوانات تصاد للأكل إذن يبدو أن هذه الرسوم لها صلة وثيقة بالشعائر الدينية أو بالطقوس السحرية، ولعل رسم الحيوانات المرغوب صيدها كان يمنح الصياد قوة تمكنه من صيدها والتغلب عليها، أو لعل الصياد عند عودته خائب الأمل من رحلة صيد فكر في أن يرسم الحيوان الذي فشل في الحصول عليه كطريقة للترويح عن النفس.. ربما!

على أي حال

تعتبر هذه الرسوم التي بلغت درجة كبيرة من الدقة والجمال ـ ببقائها طيلة هذه العصور ـ خير طريقة لمعرفة الماضي، ومعرفة مدى الإمكانيات التي استطاع بها الإنسان البدائي أن يكيف نفسه للعيش تحت ظروف غاية في الصعوبة.





الرسم بالفسيفساء؟

ما هي الفسيفساء

هي مكعبات من الحجر أو الزجاج يثبت بعضها إلى جانب بعض فوق الجص أو أي مواد إسمنتية، بحيث تشكل رسوماً معينة أو زخرفة لتزيين الجدران أو الأرضيات.

اشتهر بفن الرسم بالفسيفساء عبر التاريخ عدد من الشعوب في مقدمتهم الإغريق ثم تلاهم الرومان، وفي العصر الإسلامي ازدهر هذا الفن وأبدع فيه الفنانون المسلمون، وقد ظهر إبداعهم في عدة أعمال لا تزال شاهدة حتى يومنا هذا.

من أهم هذه الأعمال الفنية الرائعة؛ فسيفساء قبة الصخرة في بيت المقدس، تمثل الرسومات الموجودة عليها فروعاً نباتية وأزهاراً وأشجار نخيل ومبان وجسوراً،

من أشهر رسوم الفسيفساء أيضاً رسوم المسجد الأموي بدمشق ومحراب قبة الصالح نجم الدين بالقاهرة.

وفي المتاحف الليبية في كل من طرابلس ولبده وشحات وصبراته وقصر ليبيا العديد من اللوحات الفنية الرائعة التي أبدع الرسامون في رسمها وفي تشكيل المناظر بقطع الفسيفساء.

من أجمل لوحات الفسيفساء المعروضة لوحة تمثل لقطات من إحدى مباريات المصارعة وهي لوحة تزين بها الأرضيات وكذلك لوحة تمثل فصول العام الأربعة.

ويلاحظ من هاتين اللوحتين وغيرهما أن الفنون التشكيلية في ليبيا بصفة خاصة وفي شمال إفريقيا عموماً منذ العصر الروماني، كانت دائماً تتسم بالواقعية إلى حد بعيد، ومن الأمثلة التي اكتُشفت من التراث الفني يلاحظ أن الفنانين الذين اشتهروا بهذا النوع من الرسم كانوا يهتمون بالمواضيع المقتبسة من الحياة اليومية وخاصة في مجالات الزراعة والصناعة ومواضيع الصيد.

وفي متحف قصر ليبيا بالجبل الأخضر تعرض مجموعات من رسوم الفسيفساء سوف نعرضها كمثال لهذا النوع من الفن.. هذه الرسوم اكتشفت في كنيسة قصر ليبيا

أثناء أعمال الحفر التي أجرتها مصلحة الآثار عام 1957 افرنجي هذه الرسوم يعود تاريخها إلى حوالى 539 افرنجي.

تظهر لنا رسوم الفسيفساء المكتشفة في ثلاثة أقسام؛ أولها يؤلف إطاراً محيطاً بمائدة القرابين وتظهر فيه رسوم لحيوانات، وثانيها عبارة عن مجموعة من التربيعات عددها خمسون تشكل بساطاً مستطيلاً يغطي نصف بهو الكنيسة، بينما يغطي نصفها الآخر ببلاط رخامي، أما الثالث فيمثل مناظر أشجار ووحوش ومشاهد لصيد الحيوانات.

وجدت بإحدى الكنائس المكتشفة في مدينة أبولونيا «سوسة» بعض رسوم الفسيفساء وبعد دراستها ثبت أن هناك تشابهاً كبيراً بينها وبين تلك المكتشفة في قصر ليبيا، كما وجد أن هناك كتابة عليها يستدل منها على أن الذي قام بإعداد اللوحتين كان هو نفس الشخص وأنها كانت من نفس الفترة التاريخية.

وأينما توجهت خلال المناطق التي تم فيها العثور على بقايا أو آثار ترجع إلى تلك الفترة تجد تشابهاً كبيراً في تصميم رسوماتها وفي الأفكار المقدمة فيها.

* * *



رسم الحيوانات

تعتبر القدرة على التسجيل من أهم الأمور التي ساهمت في الحضارة ويقصد بالتسجيل هنا الاحتفاظ بالأحداث التي تمر بالبشر وتوصيل الأفكار والملاحظات ووضعها في متناول الأجيال القادمة بطريقة أو أخرى.

فأنا في هذه اللحظة التي أكتب فيها أقدم لك أفكاري، وهذا أبسط مثال عن التسجيل.

تتخذ طرق التسجيل أشكالاً عديدة، وتعتبر الكتابة بشكلها الحالي أهم الطرق، ولكنها ليست الوحيدة كما أنها ليست أكثر قدماً ولا تعتبر سوى حجرة في منتصف الطريق في بناء الحضارة الإنسانية.

تعتبر رسوم وتصاوير الحيوانات أول التسجيلات التي وجدت من أعمال البشر، فقد رسم إنسان الكهوف على صخور الجدران، كما نقش على العظام وصنع نماذج من

الحيوانات المفضلة لطفله كالحصان والغزال والفيل وغيرها، رسم معظم الحيوانات التي كانت مفضلة لديه كغذاء. أي أنه كان يرسم قائمة الطعام الذي كان يحبه.. وعملية رسم الحيوانات التي كان يشاهدها في حياته اليومية، هي الطريقة الوحيدة للاتصال المعروفة لديه.. بعض الحيوانات التي رسمها لم يعد لها وجود في الوقت الحاضر.. أي أنها قد انقرضت منذ زمن بعيد.. ورسم الإنسان القديم لها يعطينا فكرة عن شكلها الذي لم نتمكن من رؤيته على الطبيعة.

وكما أن كل تجربة علمية تعتمد أساساً على المشاهدة، وكما يرسم المدرس المنظر على السبورة ليراه التلاميذ؛ على ذلك يمكن القول أنه عند وقوفنا أمام منظر مرسوم على جدار كهف فإننا نمثل تلاميذ وقفوا أمام سبورة رسمها المدرس الأول في التاريخ لكي يتصل بنا ويعلمنا شكل الحيوانات التي عاشت منذ آلاف السنين، رغم أن هذا المدرس لم يكن يفكر مطلقاً في أنه سوف يعمل مدرساً ولم يكن يفكر يوماً في التدريس.

على أي حال كانت لديه ميزتان مهمتان؛ أولاهما أنه كان يرسم ما يراه وما يعايشه يومياً على الطبيعة، وثانياً

قدرته ومهارته الفنية على تسجيل ما يراه، وهو لم يرسم ما يراه من حيوانات لكي يوضحها لنا بعد مرور عصور طويلة فذلك - كما قلت - لم يفكر فيه مطلقاً فقد كان يرسم لمجرد التسلية ولقضاء وقت فراغ كان لديه منه الكثير.. وكان في رسمه واقعاً تحت تأثير عاملين مهمين هما السحر والدين أو كلاهما.

كانت جميع رسوم الحيوانات أثناء العصر الحجري القديم متعلقة برغبة الإنسان في زيادة عدد حيوانات الصيد أو بالنجاح في صيدها، ولعل ما يثبت ذلك أن معظم الحيوانات التي تفنن في صيدها هي الحيوانات التي تمثل قائمة الطعام لديه، كما كانت رسوم الحيوانات التي لا علاقة لها بالصيد نادرة جداً أو أنها إذا وجدت لا تكون بحالة جيدة أو بمعنى آخر غير مرسومة جيداً.

وجدت معظم رسوم العصر الحجري داخل كهوف مظلمة يصعب الوصول إليها مما يفسر أنها كانت ترسم تحت تأثير معتقدات سحرية أو دينية.. مما يدفع إلى القول أن هذه الكهوف لا يمكن اعتبارها قاعات للفن أو متاحف للتاريخ الطبيعي قدر اعتبارها كنائس لعبادة الحيوانات وتقديسها.

والدافع لرسم الصور لم يبطل مطلقاً والحيوانات دائماً كانت الموضوع الأول والمفضل. . وكان رسمها هو الدافع الذي قاد فيما بعد إلى اختراع الكتابة.

إن رسم صورة لشيء معين مناسب جداً كالنطق باسمه وربما أن الرسم كان أحسن. . ذلك أن الرسم يمكن أن يرسل لمسافات بعيدة، كما يمكن الاحتفاظ به للأجيال التالية كما يمكن للصورة أن تختصر وتبسط حتى تصبح مجرد رمز سهل للكتابة، وتتعدى مجرد دلالتها عن شيء معين ملموس إلى أن تكون نوعاً من الأفكار، وتكون فيما بعد كلمات وأصوات للغة معينة، وذلك ما حدث، فقد تحولت معظم الصور البدائية إلى كتابة حقيقية. وبعض الحروف في معظم اللغات الحية كانت في السابق صوراً لحيوانات أو أشياء أخرى.

وطبقاً لبعض النظريات التي ثبتت نسبة كبيرة في صحتها يعتبر رسم النسر ممثلاً لحرف الألف ورسم طائر الكركي ممثلاً لحرف الباء والحية القرناء ممثلة لحرف الفاء والبومة ممثلة لحرف الميم وهكذا. . وإذا ما رسمت هذه الحروف بأصولها التي نبعت منها ثم أعيدت مرسومة فإن الكتابة آنئذ ربما تظهر كحديقة للحيوانات.

وفي اللغة الصينية لا تزال رسوم بعض الحيوانات تستعمل بديلاً عن أخرى وعن كلمات معينة، وتعتبر رسوم الحيوانات في اللغة الهيروغليفية عند قدماء المصريين رسوماً ممتازة، ولم تكن ذات توضيحات علمية بل كانت لمجرد الدلالة على اسم الحيوان ثم تحولت للدلالة على صوت لغوي معين بدون الإشارة إلى الحيوان ومظهره.

وهذا الاتصال اللغوي أصبح شائعاً دون الحاجة إلى استعمال صور واضحة نظراً لضرورة سرعة الكتابة حيث اتخذت الحروف شكلها البسيط، ولم تعد تظهر أصولها الحيوانية.

حاولت شعوب بدائية كثيرة رسم الحيوانات ولكن أكثرها نجاحاً وتفوقاً كان المصريون القدماء وجيرانهم من شعوب البحر المتوسط. وخاصة شعوب الشمال الإفريقي القديمة.

وكما ارتبط الفن بتقديس الحيوانات وإظهارها في السحر نجد أنه ارتبط أيضاً بالدراسات الطبيعية للحيوانات الحقيقية، وكانت هذه الدراسات متميزة بالتفوق الفني والضبط العلمي. . فكما تفوق المصريون في تصوير القطط تفوق اليونانيون في تصوير الخيول وأجاد الليبيون القدماء تصوير الأبقار.

نظراً لاهتمام المصريين القدماء بتصوير الحيوانات فإن من النادر أن تجد رسماً مصرياً واحداً من أي نوع يخلو من وجود حيوان فيه؛ فقد رسموا كل الحيوانات التي كانت معروفة لديهم.. البري منها والمستأنس، وباستثناء بعض المخلوقات الخرافية أو ذات الطابع الأسطوري فإن معظم الحيوانات رسمت بدقة متناهية مع اهتمام كبير بالتفاصيل.

بمقارنة الرسوم التي رسمها المصريون القدماء والشعوب التي شاهدت حيوانات معينة مع رسوم شعوب أخرى سمعت فقط عن هذه الحيوانات وحاولت رسمها يظهر الفرق واضحاً جداً، ومن هنا تظهر ضرورة رؤية الرسام للحيوان قبل رسمه، ـ أي أن الأمر الأول والأهم في رسم الحيوان بصورة دقيقة هو مشاهدته ـ وهذا الجانب كان محط اهتمام إنسان الكهوف، والمصريين والأشوريين والإغريق دون غيرهم من الشعوب فمثلاً يبدو أن الفنانين الأوروبيين وخاصة في العصور الوسطى نسوا تماماً ضرورة مشاهدة الحيوان قبل رسمه. فقد كانوا يعتمدون على النص المكتوب دون الاعتماد على المشاهدة.. درسوا الطبيعة من الكتب وليس من الغابات والحقول، ولذلك كانت معظم الأعمال الفنية التي تحوي حيوانات هي مجرد صور

وهمية مهزوزة، ولعل خير مثال: ذلك الرسم الذي رسم للخرتيت فكان أن ظهر الحيوان كالمحارب المدرع. أو طائر الكركي الذي رسم برسم جعله أشبه بالنعامة.

لم تتحسن رسوم الأوروبيين إلا بعد انتهاء ما يسمى بالعصور الوسطى وبداية عصر النهضة وكان ذلك نتيجة لعدة مؤثرات أهمها: تأثير الحضارة العربية ودقة وصف الحيوانات كما ظهر في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري، وكتاب الحيوان للجاحظ، المؤثر الثاني كان كثرة الرحلات التي قام بها الأوروبيون. . أولئك الرحالة الذين تمكنوا من مشاهدة الحيوانات على الطبيعة، وقاموا بمحاولاتٍ لرسم الحيوانات التي لم يكن الأوروبيون يعرفون سوى رسوم مهزوزة لها. المؤثر الثالث والذي يعتبر من أهم المؤثرات في تغيير النظرة نحو الفن والحيوانات هو اكتشاف رسومات الإنسان القديم على جدران الكهوف وكذلك الأعمال الفنية الأخرى التي تم الكشف عنها مثل الأعمال الإفريقية البارزة في نحت الحيوانات.

من الممكن أيضاً إضافة عامل آخر وهو جلب الحيوانات إلى أوروبا وتأسيس حدائق الحيوانات مما مكن الفنانين من مشاهدة هذه الحيوانات ومن ثم رسمها.

كل هذه المؤثرات مجتمعة كان لها دور كبير في ظهور فن أوروبي رائع . . في رسم الحيوانات.

عند ظهور الإسلام في الجزيرة العربية أدت تعاليمه إلى إهمال الفن عموماً والنحت والرسم بصفة خاصة؛ وذلك لاعتبار هذه العملية تقليداً لعمل الله سبحانه وتعالى ورجوعاً إلى التشبه بصانعي الأصنام والحيوانات التي كانت تعبد في الجاهلية.

ومما يحكى أن رساماً فارسيّاً كان يعيش من رسم الحيوانات سأل المحدث ابن عباس عن كيفية العيش إذا انقطع عن رسم الحيوانات فأجابه أن يقطع رؤوسها ويعطيها شكل زهور، وقد أدى هذا الأمر إلى تغير النظرة نحو الرسم التفصيلي واختفاء أشكال الحيوانات وتحول أجزاء كثيرة منها إلى نباتات وزهور وإلى خطوط هندسية منتظمة أظهرت فيما بعد فن الزخرفة.

لم يكن أمر رسم الحيوانات محرماً نهائياً بعد ظهور الإسلام وتمكنه في قلوب المسلمين وإنما كان مكروهاً فقط وهذه الكراهية لم تستمر في كل الأماكن ولا كل الأوقات فقد ازدهر فن رسم الحيوانات في مناطق متعددة وعبر عصور مختلفة.

* * *

الرسم الساخر

في الماضي كان الرجل «يهين» الرجل فيرد عليه بالإهانة وكان الأمر يصل أحياناً إلى طعنة حادة من سكين أو رصاصة قاتلة من مسدس.

وبرقي الإنسان في مدارج الحضارة وبمعرفته أن الإنسان قد يخطىء وقد يسهو.. عند ذلك تحول الإنسان من مرحلة رد الإهانة بالإهانة إلى الرد بالعفو، ورغم أن العفو هو المفروض في حالات كثيرة إلا أن دافعاً لاشعورياً كان يحمل المرء على الاستهزاء والرد بالسخرية.

والرد بالسخرية قديم قدم التاريخ، وقد ظهر عبر فترات متعددة؛ مضحك الملك أو المهرج، كما ظهر ويظهر في كل زمان ومكان «مضحك» للأصدقاء في المدرسة، وفي البيت، في النادي وفي الشارع.

والمرح والضحك هما التوصية التي يدفع بها الطبيب

لكل مريض يزوره، ولكنها لا تباع في الصيدليات؛ إن المرح والضحك يظهران في شكل الفكاهات أو النكت. والفكاهات والنكت تظهر بالقول كما تظهر بالرسم.

تظهر بالقول وتكون بريئة ساذجة حيناً، وثأرية أحياناً أخرى ومن الفكاهات البريئة كمثال: قول المدرس يسأل تلميذه «ماذا قال قيصر حين طعنه بروتوس؟ فيرد عليه التلميذ قائلاً: «قال آه».

تظهر النكتة بالرسم وهو ما يسمى بالرسم الساخر؛ ومن أشهر من عالج الرسم الساخر في بلادنا الفنان «محمد الزواوي» كما ظهر عدد آخر من الشباب بعد ظهور الزواوي.

والتعبير عن الفكرة أو النكتة بالرسم الساخر قديم قدم التاريخ ويمكن مشاهدة الكثير من هذه الرسوم فيما وصل إلينا من الرسوم والنقوش المصرية والإغريقية وغيرها.

أما في العصور الحديثة فيقال أن أول من عالج رسم صور باعثة على الضحك تمثل الناس؛ هو الفنان الإيطالي (أنيبال كاراتشي)، ومن اسم هذا الفنان اشتق لفظ «كاريكاتير» الذي نسميه الرسم الساخر وكان ذلك فيما بين سنتي «1560 ـ 1609 افرنجي».

ظهر بعد هذا الفنان كثير من الفنانين في كل من بريطانيا وفرنسا وأمريكا. . ظهرت أيضاً العديد من المجلات والصحف المتخصصة في نشر الرسوم الساخرة.

وفي السنين الأخيرة بدأ يظهر الرسم الساخر على صفحات المجلات والصحف العربية.

ففي مصر بعث فن الرسم الساخر على يد صحفي مصرى اسمه (أحمد حافظ عوض) في مجلة أصدرها قبل الحرب العالمية الثانية تحت اسم خيال الظل، وظهر بعده كثير من الرسامين مثل جورج وجاهين ورخا وصاروخان وغيرهم.

وهكذا فرض الرسم الساخر نفسه في حياتنا الحديثة وأصبح يؤدي مهمة حيوية فهو بالإضافة إلى إثارة الضحك والمرح في النفوس أصبح له دوره في الصحافة والإعلان.





لوحة حيرت الناس

لا أظن أن هناك فناناً لقى من الاهتمام قدر ما لقيه الفنان ليوناردو دافنشي.. ولا أعتقد أن عملاً فنياً لقى من العناية قدر ما لقيته اللوحة الشهيرة التي رسمها الفنان ليوناردو وهي لوحة الموناليزة.

لم يشتهر الفنان ليوناردو بهذه اللوحة وحدها، بل اشتهر أيضاً بأعمال أخرى رائعة، منها لوحة العذراء التي رسمها بمعاونة تلميذه إمبروجيو دي بريدي، كما اشتهر أيضاً بلوحته المسماة «العشاء الأخير» والتي تمثل النبي عيسى عليه السلام وحواريه الاثني عشر، اهتم أيضاً بالموسيقى والنحت كما اهتم بالهندسة، حيث يحكى عنه أنه أول من صمم الدبابة.

تفرغ في آخر عمره لكتابة مذكراته التي تضمنت بحوثاً مختلفة في الجيولوجيا والحيوان والنبات والتشريح.

حظيت لوحته «الموناليزا» بتقدير كبير من كل من شاهدها؛ وصاحبة هذه الصورة هي فتاة تدعى: ليزا جيرارديني من أسرة فقيرة، قدر لها عندما بلغت السادسة عشرة من عمرها أن تتزوج من شخص غني اسمه «فرانسيسكو ديل جيوكوندو» وكان قد تزوج مرتين قبلها ويبلغ من العمر ستة وثلاثين عاماً، عندما بلغ عمر الفتاة الرابعة والعشرين من عمرها منيت بفقد ولدها الوحيد، تأثر زوجها الذي كان يحبها جداً لذلك ومن أجل التسرية عنها طلب من صديقه الرسام ليوناردو أن يقوم برسمها وكان ذلك عام 1503 افرنجي. وكان ليوناردو قد بلغ من العمر الحادية والخمسين وقد أضناه العمل وخاصة في لوحته العشاء الأخير ومع ذلك لم يستطع أن يرفض طلب صديقه.

بدأت موناليزا تحضر عصر كل يوم إلى مرسم ليوناردو وتأخذ مكانها مرتدية نفس الرداء الذي تظهر به في اللوحة وكان يحضر في نفس الوقت مجموعة من الأدباء لسماع الأنغام الموسيقية التي كانت تعزفها فرقة تحضر يومياً.

استمر جلوس موناليزا أمام ليوناردو مدة ثلاث سنوات عندما سمح لها ليوناردو بعدم المجيء بقوله: «أعتقد أنني أكملت اللمسات الأولى».

ويقال أنه استمر بعد ذلك في العمل في نفس اللوحة مدة سبع سنوات، والحقيقة التي يقولها الكثيرون هي أن ليوناردو قد أحب موناليزا وشعر في أعماقه بشعور نحوها لم يشعر به تجاه أي امرأة أخرى قابلها في حياته، والشواهد على حبه لها كثيرة، منها أنه كان يتعلل كلما طالب زوج موناليزا باللوحة بأنه لم يتممها بعد، وكذلك أنه كان يحملها معه أينما ذهب، نقلها إلى ميلانو ثم إلى روما ثم عبر بها جبال الألب إلى فرنسا حيث استقر به المقام عام 1516 افرنجي بدعوة من الملك فرنسيس الأول.. هناك مرض ليوناردو مرضه الأخير الذي أودى به إلى الموت في الثاني من شهر «الماء» مايو 1519 افرنجي. وقد قيل أن ليوناردو باع لوحة الموناليزا بمبلغ يجاوز أربعة آلاف كراون ذهبي.. ولكنه مات ولم يستفد من هذا المبلغ، وظلت لوحة الموناليزا معلقة في قصر الملك فرنسيس حيث ورثها الملوك والأباطرة الذين خلفوه في حكم فرنسا وبقيت هناك حتى عام 1800 افرنجي أي في قصر فرساي، بعد ذلك زينت حجرة نوم نابليون ثم عادت إلى المكان الذي ظلت فيه إلى الآن في متحف اللوفر بجانب لوحة الملك فرنسيس الأول وأصبحت قبلة للزوار من كل مكان في العالم.

مما يحكى عن أحد الزوار أنه قضى ستة أشهر يأتي كل يوم ويقف أمامها صباح مساء متأملاً ملامحها؛ ويحكى أيضاً أن أحد المعجبين بها استطاع سرقتها ونقلها إلى إيطاليا عام 1911 افرنجي. ولم يكتشف أمر مكانها إلا بعد سنتين.

غادرت هذه اللوحة فرنسا لمدة شهرين إلى الولايات المتحدة حيث تم عرضها في مدينة واشنطن وشاهدها أكثر من مليون شخص، وقد اتخذت إجراءات حراسة مشددة أثناء نقلها وأثناء عرضها حيث تم وضعها في صندوق عرض لا تؤثر فيه طلقات الرصاص، كما أغلقت الشوارع ومنع المرور فيها على مسافة 236 ميلاً ما بين نيويورك وواشنطن حتى يتم مرور السيارة التي تحملها والسيارات التي تقوم بحراستها.

وبعد: فهذه قصة اللوحة التي حيرت الناس لمدة تزيد عن أربعمائة وثمانين عاماً وقصة الفنان الذي رسمها.

الحفر على الخشب

منذ الأيام التي كان فيها الإنسان القديم يقوم بزخرفة جدران الكهوف التي كان يعيش فيها في أنحاء متفرقة من العالم؛ تلك الكهوف التي اكتشفت في أوروبا وإفريقيا وغيرها. . منذ تلك الأيام وحتى وقتنا الحاضر والإنسان عاشق يحب الجمال والشيء الجميل.

والفن لا يبدأ حقيقة إلا حين يبدأ الإنسان في تجميل الأشياء التي يستعملها أو التي يود الاحتفاظ بها. . ويعتبر النحت من أول الفنون أو الأعمال اليدوية التي مارسها الإنسان، وكان الخشب هو أول المواد التي نحتها الإنسان لتوافره بكثرة ولسهولة نحته.

يعتبر توافر عنصر الحياة في النبات الحر سبب أساسي لاعتماد الإنسان على هذا النوع من المواد وذلك لاعتقاد ديني. . إذ كان الإنسان يفكر في أن الروح تظل كامنة في النبات حتى بعد قطعه.

كان خيال الإنسان القديم حرّاً، لا قيود تستعبده، لم تكن هناك مشاكل مثل تلك التي تواجه الإنسان في هذا العصر. كان يقوم بعمله الفني ببساطة متناهية، وكأنه يضيع الوقت.

إن من يزور إحدى الدول الإفريقية ذات الشهرة في النحت مثل جمهورية زامبيا أو نيجيريا وغيرها سيجد الفنانين جلوساً في الشمس أو تحت ظل شجرة يقوم كل بعمله بكل هدوء لكي يقدمه للسواح مقابل ثمن معين تتحكم فيه قدرته على الإبداع.

اشتهر بالحفر على الخشب كثير من شعوب العالم منها الباكستان والهند والصين واليابان.. وفي بلادنا هناك كثير من الأعمال الجميلة التي تظهر فيها براعة الإنسان الليبي ولكنها كانت للأشياء الضرورية التي يستعملها في حياته اليومية.. مثل المحراث الخشبي وبعض القطع المستعملة في بناء البيت.. ولكن لا تظهر فيها عملية الزخرفة أو التزيين بمعنى آخر أي أن المقصود دائماً كان تأدية الغرض، وهذا يبدو في كثير من الأعمال حتى في الدول التي اشتهرت بالحفر على الخشب.. إذ إن الحفر على الخشب ليس دائماً جميلاً إلا إذا كان الموضوع متعلقاً بعقيدة دينية أو للاستعمال في زينة.

عندما يتعلق موضوع الخشب بوازع ديني خاصة عند الإنسان القديم؛ عند ذلك تظهر القطع جميلة جداً. . إذ كان الخوف من العالم غير المرئي يسبب للإنسان القديم إزعاجاً شديداً وضيقاً كبيراً. . كان يرى في كثير من الأحيان أن ما يقوم به من أعمال هو هدية إلى الآلهة التي يعتقد فيها أو أنه تمجيداً لها، وكان يريد دائماً أن يكون العمل محل رضائها ففي هذه الحالة يجب أن تكون الهدية جميلة.

تبدو أشكال أجسام البشر وأجزاء الحيوانات من أهم الأشياء التي كانت موضوعاً للحفر على الخشب، سواء في العصور البدائية أو في العصور الحديثة، كما ظهرت فيها الأشكال الساخرة أو ما يسمى حديثاً بفن الكاريكاتير، وبعمل بعض المبالغات على الأشياء المنحوتة فإنها تظهر أكثر وضوحاً.

استعملت أنواع كثيرة من الأخشاب منها شجر جوز الهند والبلوط، وأشجار الساج أو التك، وشجر الدردار وشجر الأبنوس.

وتستخدم للحفر على الخشب أنواع مختلفة من الأزاميل والسكاكين المتباينة في أحجامها وأشكالها. أما في العصور

القديمة فقد استخدم الإنسان عظام بعض الحيوانات وسكاكين من الحجر، كما استخدم بعض أنواع الأصداف البحرية.

يمكن للهاوي استخدام قطع كبيرة من الخشب يبدأ في تقطيعها إلى أجزاء صغيرة حتى يخرج منها بالشكل المطلوب وعند الانتهاء منه يغطى ببعض المواد الملونة حتى يتخذ اللون المناسب، ويمكن استعمال الشمع لتغطية الخدوش البسيطة ثم تطلى القطعة في النهاية بأحد أنواع الزيوت.



صناعة الأقنعة

القناع هو غطاء للوجه، أو الرأس كله، يوضع للتنكر أو الوقاية وتتم صناعته بمواد مختلفة، وما يهمنا هنا هو تلك الأقنعة التي تشاهد بكثرة في معظم المحلات التجارية بالدول الإفريقية وفي مناطق كثيرة من العالم.. ويقبل السواح على شرائها إقبالاً منقطع النظير.

تعتبر صناعة الأقنعة قديمة قدم الإنسان على وجه الأرض وقد تأثرت بالمعتقدات الدينية.. وقد استعملت في أغراض حربية ثم طبية، وأثناء تمثيل المسرحيات والرقص عبر العصور.

من أهم المسرحيات التي استعملت فيها الأقنعة مسرحية «النو» اليابانية، وفي المسرحيات الدينية بالمعابد الصينية وأخيراً استعملها الكاتب المسرحي الأمريكي يوجين أونيل في المسرحيتين اللتين قدمهما وهما «الإله الكبير باون» و«ثم ضحك لعازر».

استعملت الأقنعة في اليونان القديمة وكانت تركب لها أنابيب معدنية لتضخيم الصوت، كما استعملها الرومان واستمر استعمالها لديهم حتى العصور الوسطى، واستعملت الأقنعة أيضاً لدى الفراعنة كأغطية لرؤوس جثث الموتى وكانت تصنع من الجبس وأحياناً من الذهب.

عثر على أقنعة في أماكن كثيرة من العالم؛ ووجدت لها أشكال مختلفة باختلاف المناطق وباختلاف الغرض الذي صنعت من أجله. بعض من يصنعونها يكونون تحت تأثير خوف من شبح معين فيصنعونها وقاية لأنفسهم من شر ذلك الشبح، والبعض الآخر يصنعونها كأداة للتنكر، لتستعمل أثناء الصيد أو أثناء تنفيذ العقوبة على شخص معين، وقد تفنن صانعوها في اختبار المواد التي تستعمل لهذا الغرض، ومن المواد التي استعملت عبر عصور التاريخ؛ الطين والخشب والأقمشة والورق والجلود والمعادن على اختلافها.

كان الاعتقاد السائد لدى الشعوب القديمة أن الأرواح متقمصة في كل شيء وكان كل فنان يختار لنفسه أو لأُسرته الشيء الموجود في البيئة المحيطة به، والذي يعتقد أنه يحوي مكاناً مناسباً للروح التي اختارها لنفسه، وكان يختار

لنفسه ولأسرته الحيوان الذي ينبغي أن يكون شعاراً له أو يعتقد فيه وهو ما يسمى الطوطم، وهذا الحيوان الذي اختاره قد يكون الفهد أو الفيل أو الثعبان.. يصبح هذا الحيوان شعاراً له يحرم قتله أو إيذاؤه بأي حال من الأحوال ويكون بارزاً في كل الأقنعة التي تصنع.. وفي الأماكن التي استعملت فيها الأقنعة كان المجتمع مقسماً إلى مجموعتين تشمل الأولى صانعي الأقنعة وتشمل الثانية أتباعهم، ويكون للأشخاص الذين يرتدون الأقنعة مكانة خاصة، وتكون لهم حرية الحركة ولهم ميزات خاصة كأنما لديهم ترخيص.

لم تعد الأقنعة تستعمل في الوقت الحاضر كما كانت في الماضي إلا في بعض المناطق المتأخرة جداً عن ركب المدنية أو تلك التي لا تزال الأقنعة تمثل فيها إطاراً للهروب من التقاليد الاجتماعية، وكذلك تستعمل في حفلات التنكر في بعض المجتمعات المتقدمة، أو كستار لأولئك الذين يرغبون في أن يفرضوا إرادتهم بالقوة على أولئك الذين لا حيلة لهم كما يفعل قطاع الطرق أو أعضاء المنظمات الإرهابية مثل منظمة (كو ـ كلوكس ـ كلان).

وفن صناعة الأقنعة؛ مثل كل الفنون ناتج عن تجارب

الإنسان وهو من أكثر الفنون وضوحاً ربما لأنه يتعلق بأهم أجزاء جسد الإنسان وهو الرأس.

والفنان صانع الأقنعة يحاول أن يوضح تجارب الإنسان في آلاف الأشكال التي أثرت فيها الحضارة، والتي أصبح فيها الإنسان وجهاً لوجه أمام آماله وأمانيه وأمام مخاوفه وقد شكل مشاعره هذه في أشكال قد تبدو بشعة جداً حيناً وحيناً آخر مضحكة سارة.. وهي في جميع الأحوال تمثل مرحلة هامة من مراحل الفن عبر العصور.

الرقص الإفريقي

أتيحت لي الفرصة لحضور عدد من الاحتفالات في جمهورية زامبيا في صيف عام 1972 افرنجي. وخاصة في مركز مارمبا الثقافي بمدينة لفنجستون الذي تقام فيه حفلة رقص يومية من الساعة الثالثة مساءً كل يوم ولمدة ساعة ونصف قد تمتد في بعض الأحيان إلى ثلاث ساعاتٍ حيث تقوم فرقة مكونة من عشرين راقصاً بتقديم عدد من أشهر الرقصات الزامبية.

ومركز مارمبا الثقافي عبارة عن منطقة على ضفاف النهر توجد بها وعلى شكل نصف دائرة مجموعة من نماذج المساكن التي تسكنها القبائل وفي وسطها حلبة الرقص، يخرج الراقصون من بين هذه المساكن إلى الحلبة فيشعر المشاهد وكأنه وسط المجتمع الإفريقي يحضر مراسم احتفال معين؛ من أجمل الرقصات التي تؤديها هذه الفرقة رقصة الحرب ورقصة الصيد ورقصة نهر الزمبيزي،

ويلاحظ في هذه الرقصات ذلك الزي الجميل الذي ترتديه النساء أثناء الرقص والذي يمثل الزي الوطني للنساء في زامبيا وقد بدأ ذلك الزيّ في الاختفاء تحت تأثير وإغراء الموضات الأوروبية.

والرقص ليس في زامبيا وحدها ـ بل في جميع أقطار القارة الإفريقية له أهمية كبرى في مجالات الحياة اليومية من زراعة وحرب وصيد وغيرها من المناسبات.. والرقص كما هو معروف عند كل الشعوب نوع من التعبير عن الشعور الجماعي، وعند إلقاء نظرة على فنون الرقص الشعبي عند كثير من الشعوب نجد أنها مشتقة أو هي نابعة من الرقص التعبيري؛ كما يشاهد عند الشعوب البدائية التي ما زال كثير منها يعيش في أجزاء متفرقة من العالم في عصرنا الحاضر.

والرقص في معظم المجتمعات الإفريقية له مكانة في الأرياف أكثر منها في المدن وذلك ناتج عن التأثير الأجنبي وتحول كثير من سكان المدن نحو الرقصات الأوروبية الحديثة وتأثير المدنية على نواحي حياتهم المختلفة.

يعتبر الرقص أمراً ضرورياً للحياة بل يمكن القول أنه جزء من الحياة وهو ليس فقط للترفيه؛ بل هو عمل يشترك

فيه الجميع دون تخصيص، الكبار والصغار.. رجالاً ونساء.

ويؤدي هذا النوع من الفنون في جميع المناسبات دوراً كبيراً جداً وقد أثر حتى على النظام السياسي، وعن ذلك يقول الكاتب الصومالي الدكتور جون فياني:

«إن الرقص ليس منبهاً جنسياً فحسب كما تزعم النظرية الفرويدية بل هو أحسن تعبير عن مشاعر الإنسان العميقة وليس هناك فن يدانيه في هذا التعبير عن الأحاسيس وفي تصوير الميراث القومي الاجتماعي.. هذا الفن المعبر، قدره الساسة الإفريقيون حق قدره فنموه وعملوا على إنجاحه وتطويره وبصورة خاصة الساسة في جنوب إفريقيا، وذلك قصداً منهم إلى حشد التأييد القبلي في جانبهم عند مطالبتهم بالحرية والتخلص من الحكم الأوروبي».

تستعمل في الرقص أنواع عديدة من الملابس تختلف باختلاف الرقصات من ناحية الموضوع وكذلك باختلاف المناطق، وعموماً تكون معظم الملابس متسعة وذات ألوان

مختلفة، ويستعمل في تزيين الجسم والملابس الخرز والأجراس الصغيرة والأصداف وريش الطيور وقطع من جلود الحيوانات، كما يغطى الوجه بالقناع في كثير من الرقصات وخاصة ما كان منها ذا طابع ديني.

وللأقزام غرام شديد بالرقص وتشترك فيه الأمهات وهن يحملن أطفالهم وإذا ما نام الطفل أثناء الرقص ناولته الأم لإحدى المتفرجات كي تتفرغ للرقص بكل حرية وعنف.

ويستمر الرقص عند الأقزام في بعض الأحيان طوال النهار وتتخلله فترات قصيرة من الراحة إذا شعر ضارب الطبل بالتعب، ويتم الرقص بالإضافة إلى دقات الطبول على أنغام المزامير والصفارات.

أما عند العمالقة أو طوال الأجسام فالرقص من أجمل الفنون لما يتمتعون به من طول في أجسامهم وهم عندما يقفزون أثناء الرقص يبدون وكأنهم يطيرون في الهواء تساعدهم أجسامهم الرشيقة.



الاتصال.. بدقات الطبول

كيف تمكن الإفريقي من الاتصال بأخيه عبر الوديان والغابات ناقلاً أخباره السارة أو المحزنة، قبل أن تكتشف وسائل الاتصال الحديثة؟!

يجيبنا عن هذا التساؤل الدكتور أ. قود (الذي عاش سنين طويلة في غرب إفريقيا) أثناء حديث له عن تجاربه وملاحظاته عن دقات الطبول عند القوم الذين رافقهم.. يقول: إنه كان يستمع إلى دقات طبل في مدينة تبعد عنه أكثر من ميل ونصف وكانت نغماته على هذا النحو «تاب تاب تاب تابنق». مكررة عدة مرات ثم «تاب تابنق.. تابنق»، كانت النغمات واضحة جداً عبر الغابة وكانت تكرر بنفس النغمة وعند سؤالي لرفيقي الإفريقي عما تقوله تلك الطبلة أجاب: «إن الذي يدق الطبلة مواطن يدعو رئيس القبيلة ويعلمه بأن هناك ضيفاً عليه أن يستقبله» وبعد مرور عشرين دقيقة وصلنا إلى مقر شيخ القبيلة الذي وجدناه

واقفاً في انتظارنا، عند ذلك صدقت ما قد قيل لي من قبل عن الطبلة وأهميتها لدى الإفريقي.

عند محاولة معرفة الطريقة التي يفهم بها الكلام الذي تعنيه دقات الطبول نجد أن لكل دقة أو مجموعة من الدقات أو النغمات معنى معيناً يفهمه شيخ القبيلة، فمثلاً المقصود بالدقات التي تحدثنا عنها أن لديه ضيفاً وأن عليه أن يحضر ويستعد لاستقباله.

هذه الطبول التي يستعملها الأفارقة واستعملوها منذ أقدم العصور لم يعرف بعد التاريخ الذي بدأ فيه استعمالها، وهي قبل اختراع وسائل الاتصال الحديثة كانت ذات فائدة جليلة للأفارقة لعدد من الأسباب من أهمها تواجد هؤلاء القوم ومعيشتهم في منطقة مليئة بالغابات المتداخلة والتي تغطي مناطق شاسعة والتي لا تتوافر فيها طرق غير بعض الممرات الصغيرة بين الأدغال.

كان الرجال يذهبون للصيد في الوقت الذي تذهب فيه النساء لجمع النباتات، فإذا حدث شيء في القرية، فما هي الطريقة التي يمكن بها إعلامهم؟! وكيف يمكن أن تنتشر الأخبار إلى القوم المتوزعين بين الغابات؟! أخبار الموت والمرض والحرب والصيد وغيرها من أمور الإنسان

الإفريقي ذات الأهمية القصوى لديه.

إن دقات الطبول للإعلان عن هذه الأمور تنتشر إلى أميال عديدة حتى تصل إلى القرى المجاورة ومن كل قرية إلى قرى أخرى أبعد منها حتى تنتشر الأخبار مئات الكيلومترات.. كانت دقات الطبول أنسب الوسائل قبل وصول المخترعات الحديثة من أجهزة اتصال سلكية أو لاسلكية ولكن إلى أي مدى يمكن الاستفادة من دقات الطبول؟ يمكن سماع دقات الطبل العادي بسهولة من مسافة خمسة أميال أثناء النهار.. بينما يسمع دقات الطبول، بشكل أفضل أثناء الليل عبر دائرة قطرها أربعون ميلاً تقريباً.

هناك ثلاثة عوامل تؤثر في طول المسافة التي تسمع فيها دقات الطبول؛ أولها حجم الطبل نفسه وثانيها مميزاته الخاصة، وثالثها نوع المنطقة التي يستعمل فيها من الناحية الجغرافية والطوبوغرافية.

كلما كبر حجم الطبل زادت المنطقة التي ينتشر فيها الصوت، ومن ناحية المميزات الخاصة تختلف الطبول حسب نوع الأشجار التي صنعت منها والطريقة التي تصنع بها. وصانع الطبول الماهر سرعان ما تنتشر شهرته في

جميع المناطق المجاورة للقرية التي يسكن فيها. أما المنطقة التي يدق فيها الطبل فهي ذات تأثير على انتشار صوت الطبل بما يتواجد فيها من جبال أو وديان يتردد عبرها الصوت ويكون الصوت أكثر وضوحاً في مناطق الجبال عنه في المناطق السهلية المتسعة.

استعملت الطبول لأغراض عدة من أهمها جمع شيوخ القبائل أو رؤساء العائلات في المنطقة للفصل في المشكلات الاجتماعية وغيرها، كما تستخدم في كثير من القرى وخاصة التي يدين أهلها بالمسيحية عوضاً عن الأجراس في الكنائس.

يحدثنا الدكتور (قود) عن الطبول أيضاً بقوله: «منذ سنوات قليلة مضت كنت أظن أن الطبول لم يعد يفهم دقاتها أحد وقد وصلتُ إلى إحدى القرى أبحث عن شخص عرفته منذ مدة فقيل لي إنه في المزرعة وهي على مسافة طويلة، وإذا بعثت من يحضره فإنه يحتاج إلى ساعة ذهاباً وإياباً، طلبت من أحد الحاضرين أن يناديه بالطبل ففعل، وبعد نصف ساعة كان ذلك الشخص واقفاً أمامي يسألني «لقد سمعتك تناديني، ما الذي تريده مني»».

حقاً إن الطبول في إفريقيا تكاد تتكلم!.

فن التزين

في كل المجتمعات التي في هذا العالم - في هذا العصر أو فيما سبقه - لا يمكن أن يوجد من لا يهتم بالزينة، ولا يوجد - إلا فيما ندر - وخاصة من النساء من تترك جسمها أو وجهها على الأقل دون زينة من معادن مختلفة أو أغطية للرأس أو تشكيل في الوجه أو زخرفة في الملابس.

والناس في كثير من المناطق لا يعيرون التفاتاً لما يحيط بهم من الظواهر الجوية كالحرارة والبرودة في سبيل إرضاء رغبات أنفسهم، فمثلاً سكان المناطق الحارة الذين اختصروا ملابسهم بحيث لا يلبسون منها إلا ما هو ضروري لستر العورة، تجدهم يضحون بأجسامهم بدرجة غريبة، منهم من يخرق أنفه ليضع عليه بعض الزينة، ومنهم من يطيل رقبته بما يضعه حولها من أطواق تحيط بها إحاطة محكمة، ومنهم من يخرق شفتيه أو أذنيه إلى غير ذلك.

أما سكان المناطق الباردة الذين يجدون الملابس

ضرورية لحماية أجسامهم من البرد القارس، نجدهم يهتمون اهتماماً لا حد له بتزيينها وزخرفتها.

كما نجد كثيراً من الملابس والأدوات والمواد المستعملة للزينة قد لا تكون مريحة للشخص ولكن نجده يبدو مسروراً جداً باستعمالها، يُقبل عليها بكثير من الرضى والقبول.

من ذلك؛ الأحذية الحديدية التي تلبسها الفتاة في الصين في سن مبكرة لمدة طويلة حتى تظل أقدامها صغيرة جداً بالنسبة لجسمها، كذلك عملية سن الأسنان عند بعض القبائل وإطالة الشفتين وغير ذلك من الأعمال المستهجنة عند غيرها من القبائل.

ويبدو السبب في كل أمور الزينة هو من أجل الحصول على رضى المحبوب.. أو الظهور بمظهر خاص.. أي أن الدافع اجتماعي محض وهو السبب في التزين عبر جميع العصور؛ فمثلاً تلك العلامة التي تضعها النساء الهنديات على جباههن تدل على الاستعداد للزواج أو للدلالة على الزواج وهي توضح ببساطة طريقة إعلان عن حالة المرأة كما توضح ذلك دبلة الخطوبة أو خاتم الزواج في مجتمعات أخرى.

هناك طريقتان رئيسيتان لتزيين الجسم؛ إحداهما دائمة والأخرى مؤقتة ولكل من الطريقتين ميزات خاصة بها. تشمل طريقة التزيين الدائم: الوشم وقد كان منتشراً في بلادنا وهو إما وضع علامات على الوجه أو على الذراعين وفي بعض البلدان يتم الوشم أيضاً على الصدر أو على الظهر أو على كليهما، كما تشمل هذه الطريقة خدش الجلد وجلد الوجه بصفة خاصة وذلك كما يلاحظ عند بعض سكان السودان، منها أيضاً تشويه الوجه وإطالة الشفتين وخرقهما وخرق الأنوف والآذان وضغط الأقدام لتصغيرها وسن الأسنان. كل هذه الطرق السابقة تبقى طول عمر الشخص؛ وتكون مميزة له عن غيره من أفراد القبيلة أو المجتمع.

أما طرق التزيين المؤقت فهي أكثر عدداً من طرق التزيين الدائم وتمتاز بإمكانية تغيير الزينة من وقت لآخر مثل طلاء الوجه والجسم، ووضع الحلي والجواهر وغيرها، وتزيين شعر الرأس بالريش وخلافه من الأغطية، وتعتبر الأحذية رغم فائدتها لحفظ الأقدام من طرق التزيين المؤقت وذلك لسهولة تغييرها.

وعبر عصور التاريخ وعلى اختلاف المجتمعات استعمل

الناس رجالاً ونساء العديد من المواد في الزينة مما يصعب حصرها وهذه أمثلة منها «الحجارة ـ العظام ـ العاج ـ الأسنان ـ الريش ـ الجلود ـ الشعر ـ المعادن ـ الأخشاب ـ الأعشاب ـ الأزهار ـ بعض أنواع الحشرات والقواقع والحيوانات».

وهذه المواد إما أن تستعمل مباشرة أو بعد عمليات صناعية معقدة، ويظهر في بعضها أثناء استعمالها الكثير من الوحشية وهي في مجموعها لا تخلو من الفن.

يعتقد المؤرخون أن الرجال كانوا أكثر اهتماماً بالزينة من النساء في بادِىء الأمر ثم تحولوا عن ذلك نتيجة لتكاثر المسؤوليات التي ألقيت على عاتقهم وأصبحت المرأة بمرور الزمن أكثر اهتماماً بالتزين.

والمرأة تتزين إما لتظهر حسنها للرجل أو لتظهر جمالها أمام غيرها من النساء، ويظهر ذلك في اهتمامها الدائم بالتزين واختيار الملابس وطرق تصفيف الشعر، ويلاحظ أن الشعر عبر العصور كان دائماً هو الهدف الأول لزينة المرأة.. هناك من تطيله وهناكِ من تقصره ومنهن من تصففه على جهة أو على أخرى.. وكل ذلك لإظهار الجمال.

تجليد الكتب

منذ بداية ظهور الكتب أصبح للتجليد أهمية كبرى، وكانت المخطوطات القديمة تمر بعدة مراحل يقوم بها على الترتيب؛ الخطاط ثم الرسام وأخيراً مجلد الكتاب الذي يعتبر واضع اللمسات الأخيرة والهامة قبل صدور الكتاب.

وأول طرقٍ للتجليد ظهرت عبر التاريخ هي وضع المخطوطات بين قطعتين من الخشب. . ثم استعمل الورق المقوى تلاه استعمال الجلد أو القماش وأخيراً استعملت رقائق من معادن مختلفة.

كانت بعض الكتب تزين جلودها بالمعادن والأحجار الكريمة وقد جعلها ذلك عرضة للسرقة نظراً لغلاء قيمة الغلاف، ويعتبر تزيينها هذا سبباً في ضياعها وعدم الاستفادة منها مستقبلاً.

استعمل الجلد بكثرة في تجليد الكتب منذ أقدم العصور

وخاصة عند ظهور الإسلام إذ كان من السمات البارزة للفنون الإسلامية، ولم يظهر تجليد الكتب في أوروبا إلا بعد الحروب الصليبية حيث أخذ الصليبيون عند عودتهم العديد من الكتب الثمينة المجلدة تجليداً فاخراً، ازدهر فن التجليد أيضاً في الأندلس وصقلية وتركيا وإيران.

صنعت أقدم وأشهر جلود الكتب المعروفة في العصور الإسلامية فيما بين القرنين الثامن والحادي عشر إفرنجي، وتعتبر جلود الكتب التي صنعت في العهد التيموري من أبدع ما أنتج في هذا الفن على الإطلاق.. كما صنع في تركيا عدد من الكتب المجلدة اتبع الصناع في عملها إلى حد بعيد نفس الأساليب التي اتبعت في إيران.

بدأ انتشار صناعة تجليد الكتب في أوروبا بعد عودة الصليبيين، وظهر في صناعتهم مدى التأثر بما وصل إليهم من كتب مجلدة في الشرق، وقلدت طريقة التجليد الشرقية في مدينة البندقية في أوائل القرن الخامس عشر وأثناء القرن السادس عشر.

وعملية تجليد الكتب وزخرفة الغلاف من الخارج والداخل كانت من الأمور الهامة لإظهار قيمة الكتاب وخاصة قبل معرفة الطباعة إذ كانت الكتب تنسخ باليد وهي

عملية تستغرق شهوراً وسنيناً في بعض الأحيان، وكان الناسخ في بعض الأحيان يقوم بتزيين الصفحات التي كتبها برسومات لأزهار أو حيوانات أو غيرها. . وكانت الكتب نتيجة لغلظ الورق المستعمل ثقيلة جداً خاصة إذا أُضيف لها الجلد السميك. . ولكن بتقدم وسائل العلم المختلفة وقلة تكاليف طباعة الكتب أصبحت الكتب الآن أصغر كثيراً مما كانت عليه في السابق، وأصبحت طباعة الكتب وتجليدها لا تأخذ وقتاً ولا جهداً بفضل استخدام الآلات.

أصبحت طرق التجليد الآن من السهولة بدرجة لا توصف، إذ تتم الآن باستعمال الورق المقوى وتتم آلياً على مراحل، إذ تجمع الملازم التي تكون الكتاب وتتم خياطتها آلياً وعندما تنتهي الخياطة تقص صفحات الكتب من الحواشي حسب الحجم المناسب بحيث لا تصل إلى سطور الكتابة، وتأتي بعد ذلك المرحلة التالية وهي إعداد الكتاب أي جمع الأوراق مع بعضها ثم بعد ذلك عملية صنع الغلافين الأمامي والخلفي. . يلصق الكتاب بالغلافين حيث تقوم الآلة بوضع مادة لاصقة على آخر صفحات الكتاب وأولها وتثبتها بباطن الغلاف.

يمكن القيام بعملية تجليد الكتب يدوياً أي خياطة

ملازمه وصنع الغلاف ثم إلصاقه بالملازم.

في جميع الأحوال يجب التأكد من ترتيب صفحات الكتاب عند التجليد حتى لا يضيع العمل هباءً عند اكتشاف خطأ في الترتيب بعد انتهاء عملية التجليد.

إن عملية التجليد تبدو مهمة جداً لحفظ الكتب من التمزق وخاصة من كثرة الاستعمال أو في حالات الشحن من مكان لآخر أو التعرض للسقوط من فوق الأرفف في المكتبات.. أي أن عملية التجليد إذا تمت بصورة جيدة فإن من شأنها أن تطيل عمر الكتاب أضعافاً مضاعفة.

* * *

فن التحنيط

التحنيط هو حفظ جثث الموتى وحمايتها بسبب التلف من العوامل الطبيعية. . وذلك مثل ما كان يقوم به المصريون القدماء والذين يعتبرون أول من قام بمثل هذا العمل.

يعتبر عمل تحنيط جثث الموتى ناتجاً عن اعتقاد راسخ في ديانة المصريين القدماء عن أن الشخص يجب أن يحفظ جسده من التحلل والفناء، وأنه يحب أن يحفظ مظهره الخارج قدر المستطاع خلال رحلته إلى العالم الآخر، وكانوا يعتقدون أن الموت ما هو إلا رحلة يعبر فيها الجسد دون الروح إلى عالم آخر ثم تعود إليه الروح إذا كان سليماً ليستأنف ذلك الجسد حياة جديدة إذا لم تكن مثل حياته الأولى فهي قريبة الشبه بها.

كان للمصريين القدماء عدة طرق لتحنيط أجسام الأشخاص وتتركز في إزالة الدماغ من الجمجمة عن طريق

الأنف، وكذلك شق البطن واستخراج كل ما فيها من المواد الرخوة وتجميع القلب والكبد والرئتين والأمعاء بوضعها في أوان خاصة. . يطهر الجوف بعد ذلك بمواد معطرة ونبيذ، ثم يحشى بملح كربونات الصوديوم وتخاط الفتحة ثم يكفن الجسد ويلف بكتلة من الكتان ويمرر على الجسد كمية من الصمغ. . وتستغرق هذه العملية أكثر من شهرين ثم تصبح مومياء وتوضع في قالب من الخشب في المدفن الخاص بها.

لم يكن المصريون القدماء وحدهم في فن التحنيط بل مارسه عدد كبير من القبائل في عصور مختلفة وفي مناطق مختلفة من العالم منها القبائل الليبية القديمة وقبائل وسط إفريقيا وبعض قبائل أمريكا الجنوبية.

يلجأ متعهدو الدفن في الوقت الحاضر إلى طريقة التحنيط لحفظ جثث الموتى من التعفن وخاصة تلك التي تحتاج إلى إرسال لأماكن بعيدة حيث مكان الدفن. . كما تلجأ إليها العديد من البلدان في هذا العصر لحفظ جثث العظماء من رجال السياسة وكبار رجال الكنائس.

هذا عن تحنيط الجثث البشرية. . فماذا عن تحنيط الحيوانات؟!

إذا كان السبب في تحنيط جثث الموتى من البشر هو الاعتقاد بعودة الأرواح إلى الأجساد مرة أخرى - فهل تحنيط الحيوانات أيضاً هو لنفس الغرض؟

كان قدماء المصريين يحنطون الحيوانات التي تعيش في المعابد وتلك التي كانوا يقدسونها - فقد وجدت موميات لعدد كبير من القطط والكلاب والقرود والطيور والتماسيح وغيرها.

ربما أن السبب كان في اعتقادهم احتمال عودتها للحياة مرة أخرى مع أصحابها.

تحنط الحيوانات في هذا العصر لعدة أغراض إما للزينة في البيوت وإما لأغراض الدراسة العلمية في المعاهد والجامعات.

تحنط الحيوانات أيضاً لغرض عرضها في المتاحف، والمقصود منها في هذا العرض أن يتعرف الزوار على الحيوانات التي يصعب عليهم رؤيتها في المناطق التي تعيش فيها. كما تمكنهم طريقة عرض الحيوانات في المتاحف من التعرف على الوسط الذي تعيش فيه؛ فمثلاً عرض نوع من الزواحف في وسط يناسب الحياة الصحراوية التي أحضرت منها، أو عرض الطيور المائية

بجانب البرك والمستنقعات وكذلك عرض الأسماك في وسط مشابه للبيئة التي تعيش فيها داخل الأنهار والبحار.. كل ذلك يقدم لزائر المتحف إنطباعاً عن الحيوانات، كما يستفيد من المعلومات التي لا يستطيع الحصول عليه من الكتب والدراسة.

تعتبر طرق تحنيط الحيوانات بسيطة جداً كفكرة.. ولكن أهم ما فيها هو الخبرة بها لأن عملية التحنيط تتطلب من الشخص الذي يقوم بها إلماماً واسعاً بالوسط الذي تعيش فيه الحيوانات وكذلك سلوكها والأهم تركيب أجسامها.. وذلك للاختلاف البين بين أنواع الحيوانات المختلفة.

تختلف عملية التحنيط بين أنواع الحيوانات المختلفة كما تختلف بين كل مجموعة منها، ويمكن للمحنط بعد أن تتكون لديه الخبرة أن يستغني عن كثير من العمليات التي قام بها عند بداية عمله.. كما أن من الضروري أن تكون لدى المحنط خبرة جيدة عن نوع المواد المستخدمة.. ذلك أنه هناك من بينها عدد من المواد السامة. مع أنه ليس هنا مجال للدخول في تفاصيل عملية التحنيط إلا أنه يمكن اختصارها بالقول أن معظم الحيوانات وخاصة ما كان ذا

جلد سميك تتم عملية تحنيطها بسلخ جلدها بطريقة خاصة ثم عمل نموذج للجسم من القش أو الجبس أو غيرهما ثم يوضع الجلد على النموذج بحيث يظهر الحيوان في شكله الطبيعي أو شكل مقارب له.

ظهرت حديثاً فكرة جديدة يتم بها تحنيط الحيوانات.. تمتاز هذه الطريقة بأنه لا يتم فيها سلخ الحيوانات ولا عمل نموذج لها، كما أنها تعتبر طريقة اقتصادية إذ لا تتطلب استعمال أي مواد لسلخ الجلد ودبغه ولا مواد لعمل نماذج للحيوان كما أنها توفر كثيراً من الوقت والجهد والمال وتسمى هذه الطريقة؛ طريقة التجميد والتجفيف.

اكتشف طريقة التجميد والتجفيف عالم أمريكي يدعى (هـ. مريمان) وطور هذه الطريقة في المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي الباحث الأمريكي «ر. و. هاور» بحيث أمكن استعمالها على نطاق واسع في مجال المتاحف.. تقوم هذه الطريقة على إعداد الحيوان بالوضع المطلوب تحنيطه عليه ثم ينقل إلى ثلاجة حيث تتجمد كل السوائل التي يحتويها جسمه، ينقل الجسم بعد ذلك إلى جهاز تفريغ الهواء الذي تتم فيه عملية التخلص من السوائل التي

يحتويها الجسم والتي تخرج منه على شكل بخار مباشرة دون مرور بحالة السيولة.

وطريقة التحنيط هذه تعتبر ذات فائدة عظيمة نظراً لإمكانية القيام بتشريح الحيوان المحنط وفحصه وذلك بإعادته إلى حالته التي كان عليها قبل التحنيط بمعالجته بالماء.



تقاليد رمضانية

شهر رمضان المعظم.. شهر الهدى والقرآن.. له في كل مكان استقبال من المسلمين وتوديع.. وله مراسم في كل بلد بل وعند كل أسرة.

واستقبال شهر رمضان المعظم بأيامه ولياليه له عند أهالي طرابلس أهمية عظمى، ورغم تقدم هذه المدينة وتطورها مع ركب الحضارة ورغم تغير أساليب الاحتفال بشهر رمضان وتكريمه إلا أن الاحتفال به لا زال في مكانه من نفس كل مواطن يسكن هذه المدينة.

وباستعراض مراحل من تاريخ طرابلس نجد الآنسة (توللي) في كتابها المعنون «عشرة أعوام في طرابلس» تتحدث عن محافظة المسلمين على صوم شهر رمضان رغم كل الصعوبات التي تقابلهم فهي تقول في مذكراتها:

«لقد هبت قبل ثلاثة أيام (26 يوليو 1783 افرنجي)

عاصفة رملية (رياح القبلى) جعلت الجو ملتهباً يهدد بالاختناق والريح فيها شديدة الحرارة كاللهب المندلع من فوهة فرن، فلم يحدث مطلقاً أن شوهد مسلم يكسر صيامه وأفطر بأن تجرع قطرات من الماء، ومع أن البعض كان يرش الماء على الوجوه لم يحاول شخص واحد أن يبلل شفتيه بقطرة واحدة من الماء».

وفي وصف لأحد الأجانب وكان قد قضى رمضانين في طرابلس تحدث فيه عن جو المدينة في شهر رمضان أيام الحكم العثماني قائلاً:

«إن العمل في رمضان صعب والحال فيه قريبة مما هي عليه في بغداد والمدن العربية الأخرى، وفي اليوم الأول منه يمكن ملاحظة الجنود الأتراك وهم يشترون المسابح الخرزية، تفتح الدكاكين أثناء شهر رمضان بالليل وتضاء الأسواق الكبيرة مثل سوق الترك وتعج المقاهي بالرواد وفي آخر شارع فندق الريح تقوم المقاهي الصغيرة بعرض الدمى المتحركة التي يسمونها «القراقوز».

وعند إيقاظ الناس لإعداد السحور بواسطة المسحراتي تقول الآنسة توللي:

«قبيل آذان الفجر يتجول حرس خاص في كل أنحاء المدينة يوقظ النيام لإعداد السحور قبل طلوع الفجر، يحدث ذلك الحرس ضجيجاً قوياً عالياً إذ يحمل الصحون والعلب المصنوعة من التنك «القصدير» وفي داخلها قطع من الحديد المتحركة، وتحل هذه الضوضاء الصاخبة محل دقات الأجراس غير المعروفة هنا والتي لا يسمح بها الدين الإسلامي».

ولا أعرف من أين جاءت الآنسة توللي بهذا الحديث عن استعمال الأجراس، وإذا كان كلامها صحيحاً فكيف تستعمل الآن في البيوت والمدارس وفي كل مكان!

أما الإفطار والذي يتم تحديده الآن بالإمساكيات ويذاع موعده في الإذاعة أو عن طريق إطلاق مدفع الإفطار المعتمد على الإمساكية المحددة مسبقاً. . كانت لهذا الإفطار تقاليد وطرق عديدة لتحديد موعده.

وفي مدينة طرابلس خلال العهد التركي كان يتم الإفطار بصعود شخص إلى أعلى برج الساعة والذي يعود تاريخ بنائه إلى حوالى عام 1860 افرنجي، يشاهد ذلك الشخص غروب الشمس من فوق البرج، عندما تغرب الشمس يحرك عقربي الساعة حتى يجتمعا عند الثانية عشر فتدق

آنذاك اثنتي عشرة مرة وعندما يسمعها مؤذن جامع درغوت - يؤذن لصلاة المغرب ويرفع علماً أحمر يشاهده رجال المدفعية التركية الذين ينتظرون تلك الإشارة فوق رصيف الميناء فيطلقون بالمدفع طلقة يسمعها أهل المدينة فيفطرون.

بعد الإفطار تضاء المدينة ويخرج الناس لتبدأ السهرات في المساجد وفي البيوت والمقاهي حتى يدق المسحراتي بطبلته معلناً موعد السحور.



فن البناء عند الحيوانات

لا شك أن بناء المساكن وهو ما يطلق عليه فن العمارة هو من أهم الفنون في عصرنا الحاضر، وقد حاول الإنسان منذ أقدم العصور أن يجعل البيت الذي يسكنه مريحاً له، بالإضافة إلى مناسبته لإقامة أسرته وحفظ ممتلكاته.. وشيئاً فشيئاً بدأ ينظر إلى البيت من الناحية الفنية محاولاً أن يظهر فيه من اللمسات الفنية الشيء الكثير، وأينما يمضي المتجول في هذه الأيام يجد أمامه البيوت والديار المزخرفة والمزينة بأجمل اللوحات والأعمال الفنية.

هل الحيوان ينظر إلى البيت الذي يسكنه ويقيم فيه نفس نظرة الإنسان من ناحية الاهتمام بالجمال؟ أم أن بيوت الحيوانات تقام لغرض الإيواء فقط، سنرى!

مما لا ريب فيه أن الحيوان لا يفهم الناحية الجمالية، ولكن الملاحظ لمساكن الحيوان على أنواعها يجد فيها

الكثير والكثير من اللمحات الفنية التي قد يصعب على الإنسان تقليدها. وبجولة سريعة عبر مساكن الحيوانات المختلفة نجد أن من الحيوانات ثلاث مجموعات تبدو في مساكنها الدقة في التصميم، وتظهر فيها إلى حد بعيد مناسبتها للغرض الذي تبنى من أجله.

أولى المجموعات وأهمها «النحل»، تلك المخلوقات الضعيفة التي ألهمها الله كما ذكر في القرآن بأن تتخذ من الجبال والشجر بيوتاً حيث يقول جل وعلا ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [سورة النحل: آية 68]. كما ألهمها الله أن تتخذ لخلاياها الشكل السداسي دون سائر الأشكال. يقول المهتمون بالعلوم الهندسية: إن الشكل السداسي هو الشكل الوحيد الذي يمكن أن تتراص فيه الخلايا دون ترك فراغ بينها، وأنه أيضاً الشكل الوحيد الذي يسمح في نفس الوقت للنحلة أن تتحرك خلاله في حرية.

أما المجموعة الثانية ذات الشهرة في بناء بيوتها فهي العناكب وهي تنسج بيوتها بين الصخور أو فروع الأشجار من خيوط دقيقة مكونة شبكة لا تظهر لعيون الحيوانات الطائرة التي تصطدم بها. . تظل أنثى العنكبوت ملتصقة

بوسط الشبكة دون وضوح نظراً لتشكل جسمها مع أجزاء الشبكة فإذا ما وقعت حشرة طائرة بين خيوط الشبكة أسرعت إليها ولفتها بخيوط أخرى، ثم تنقلها إلى خزانة مبنية في نهاية الشبكة، بعد أن تشلها عن الحركة، ورغم أن بيت العنكبوت يعتبر أضعف البيوت متانة وجاء عنه في كتاب الله الحكيم أنه أوهى البيوت أي أضعفها قوة، إلا أنه يعتبر من الناحية الفنية من أجمل الأعمال التي تقوم بها الحيوانات، وتظهر فيه قدرة الله تعالى على منح الحكمة في أضعف خلقه، والعنكبوت الذي يبني مثل هذا البيت، وهو أضعف البيوت، لم يحرمه الله من أن يكون بيته من أجمل بيوت الحيوانات وأكثرها فائدة إذ يعتبر في نفس الوقت مصيدة يحصل منها على رزقه، ومهما حاول الإنسان تقليد صنع هذا البيت فإن عجزه يظهر واضحاً.

ثالث المجموعات الحيوانية التي تهتم كثيراً ببناء مساكنها هي طائفة الطيور، ورغم أن عدداً منها لا يهتم مطلقاً ببناء الأعشاش، ويضع بيضه في أي مكان، إلا أن المجموعة منها والتي تبنى أعشاشاً، تهتم كثيراً بمساكنها وتختار المكان المناسب قبل كل شيء، ولها في اختيار مواقعها شرط أساسي هو بعد العش عن متناول الحيوانات

التي قد تلتهم البيض أو الصغار، ونجد الطيور في حيرة شديدة أثناء فترة بناء العش، فمنها ما يختار الجبال الشاهقة ومنها ما يختار الأشجار العالية، ومن الطيور ما يختار الشجيرات الصغيرة أو فوق سطح الأرض، بعد اختيار المكان المناسب يبدأ تجميع مواد بناء العش، كل طائر يجمع ما يناسب عشه وما يسهل عليه حمله.

يلاحظ أيضاً أن معظم إناث الطيور هي التي تقوم ببناء العش ويشاركها الذكر في بعض الأحيان.. نجد من الطيور من يهتم بجمال العش اهتماماً لا حد له.. مثل هذه الطيور تستعمل في تزيين أعشاشها قطعاً ملونة من الصخور أو أعشاباً أو نباتات مزهرة.. ولله في خلقه شؤون.

* * *

رسائل وطوابع

البريد ينقل اليوم بالسيارات والطائرات.. ومن يدري فقد ينقل غداً بوسائل أخرى. يخترعها الإنسان.

مر نقل الرسائل بعدة مراحل قبل أن يصل إلى ما هو عليه اليوم، ابتدأ نقل الرسائل بواسطة أشخاص يمشون على الأقدام، ثم تحول إلى النقل على ظهور الحيوانات، ومن أهم الحيوانات التي استعملت: الإبل والخيل.

كان البريد ينقل في بلادنا منذ قرن مضى على ظهور الإبل وكان الحكام وخاصة أثناء العهد التركي يتشددون في مراقبة مواعيد تسليم وتسلم الرسائل، وذلك حسب ما ورد في الوثائق الموجودة بدار المحفوظات التاريخية؛ حيث تبين إحدى الوثائق الموجودة ضرورة توقيع حامل البريد في كل مركز يمر به في طريقه.

وتحدثنا إحدى الوثائق أن حامل البريد (محمد بن

مسعود المغيربي) غادر طرابلس على ظهر جمله في الساعة الثانية عشرة من يوم الثلاثاء متوجهاً إلى يفرن التي وصلها الساعة الثانية من يوم الجمعة أي أنه استغرق في رحلته حوالى الثلاثة أيام، ونجد في وثيقة أخرى أن حامل البريد «عمر بن الحاج» قد توجه من طرابلس إلى يفرن الساعة الثانية عشر من يوم الأربعاء الخامس من شوال 1290 هـ فوصلها يوم الأحد التاسع من شوال سنة 1290 هـ في الساعة الثالثة.

أما عن البريد بين مدينتي بنغاري وطرابلس فكانت الإبل تستبدل في عدة محطات؛ من أهمها البريقة وسرت ومصراته، وكانت الرسائل تستغرق حوالى الأسبوع لكي تصل إلى مستلمها، أما طوابع البريد فقد استخدمت لقبض الأجرة عن نقل الرسائل والطرود حيث كانت الأجرة قبل اختراع فكرة الطوابع تقبض من مستلم الرسائل وليس من مرسلها في معظم الأحيان.

ما هو أقدم طابع بريد؟

ظهر أقدم طابع بريد في بريطانيا في أول مايو عام 1840 افرنجي. وكانت عليه صورة الملكة.. يقال أن الناس لم يستعملوا هذه الطوابع إلا في اليوم السادس

لظهورها لأنهم تضايقوا من المادة اللاصقة التي استعملت فيها.. من أهم ما قيل عنها ما جاء في رسالة كتبها تلميذ إلى شقيقته.

«إني أرى الطوابع سخيفة ومتعبة، ولا أحب أن ألوث فمي بالمادة اللاصقة التي خلف هذه الطوابع، والتي تجعل رائحة فمي غير مقبولة، ورغم ذلك ستشعرين بالرضا بأن تقبلي وتلوثي بلعابك ظهر صاحبة الجلالة وهذا على أي حال ما يجب أن أقوله عن اللعنة العظيمة التي قدمتها الوزارة الحاضرة للملكة».

بعد صدور هذا الطابع بسنتين بدأت هواية جمع الطوابع وتحولت بمرور الزمن إلى تجارة رابحة.. وقد بلغت الطوابع درجة كبيرة من الإتقان وزادت قيمتها، كما زاد التنافس على اقتنائها.

من الطرائف التي تحكى عن هواة جمع الطوابع أن أحد الهواة حصل على طابع نادر له قيمة كبيرة.. ولكي ينزعه عن الرسالة الملصق بها وضعه في كوب به ماء (وتلك هي الطريقة المستعملة لفصل الطوابع عن أظرف الرسائل)، كان الجو حاراً فنام ذلك الهاوي وعندما استيقظ شعر بالعطش فشرب من كوب الماء الذي كان بجانبه والمحتوي

على طابع البريد، ولم ينتبه إلا وقد ابتلع الطابع الذي تبلغ قيمته أضعاف أضعاف ثمنه الأصلي.

* * *

عن الدين والفن والأخلاق

في داخل كل إنسان رغبة وتطلع نحو الشيء الجميل، وتشد أذن كل منا الألحان الجميلة والأغاني المعبرة عن الجمال. . عندما نرى الأشياء الجميلة نشعر بقرب منها، ومحبة بها، والعكس بالنسبة لغير ذلك.

يعتبر الدين أول العناصر التي يعيش الناس على أساسها وثانيها الفن، وثالثها الأخلاق. . على أساس هذه العناصر يؤدي الناس أعمالهم ومن ثلاثتها تتكون الثقافة التي تزين روح كل منهم، والثقافة بدورها تحبب للشخص الذي يتمتع بمقوماتها أن يكون على درجة عالية من تذوق الجمال. . والجمال ليس خافياً بل يظهر في كل شيء في هذا الوجود الذي صنعه الله لنتمتع به.

ومجتمعنا مليء بشتى ضروب الجمال، ولكننا لم نحسن التمتع به. وذلك لنقص في عناصر الثقافة في داخل

كل منا، وأقول نقصاً ولا أقول انعداماً، لأن عناصر الثقافة متوافرة في كل أفراد البشر منذ قديم الأزمنة ولكنها قد تضل الطريق.

فالإنسان منذ خلق وهو يحاول التعرف على ربه لأنه يعتبره ملاذه الوحيد في هذا العالم.. وفي سبيل التعرف على ربه مر أثناء محاولاته بعدة مراحل، بدأت أولاً بمرحلة التعدد.. تعدد الآلهة التي فكر فيها ثم مرحلة التمييز والمقارنة بينها.. ثم توصل إلى اختيار إلٰه واحد في طور التوحيد إلى أن استطاع في النهاية معرفة ربه الواحد الأحد الفرد الصمد، فالتفكير في الدين موجود منذ القدم.

نفس الشيء يقال بالنسبة لعنصر الفن، ولعل أبلغ دليل على ذلك ما اكتشفه علماء الآثار والدراسات الإنسانية القديمة وما يكتشفونه كل يوم.. لقد نشأ أول فن بشري في الظلام.. في ظلام الكهوف.. وكان معبراً عن حاجات الحياة اليومية ومليئاً بالمعاني.. هذا الفن اليوم ملء عين وقلب كل شخص يحب الفن.

أما عن القيم الأخلاقية ثالثة العناصر التي تكون الثقافة والتي توضح الفروق البشرية.. الفروق بين الخير والشر

فأعتقد أن الإنسان منذ بدء الخليقة ومنذ ذلك اليوم الذي بدأت تنسخ فيه أول خيوط الغيرة في عقل قابيل نحو أخيه هابيل مما أدى إلى أول جريمة في تاريخ البشرية، منذ ذلك اليوم والإنسان يجاهد ما استطاع أن يجسد الخير في نفوس أبنائه ويغرس فيهم أنبل الأخلاق وأفضلها.

علينا إذن أن نثقف أطفالنا منذ نعومة أظفارهم وأن نعرفهم بأساسيات دينهم وأن نوجههم نحو الاهتمام بالأشياء الجميلة التي تدفعهم بالتالي إلى حب الخير وكراهية الشر حتى نخلق جيلاً واعياً يعرف معنى الحياة الحقة ويسهم في خلق مجتمع تظلله المحبة.





الشيء بالشيء يذكر

تحدث أشياء كثيرة يومية في حياتنا فتذكرنا بأشياء أخرى مشابهة لها في أزمنة سابقة وهذه مجموعة من الخواطر التي نشرت في أوقات مختلفة، فيها عِبَر وفيها طرافة وقد اخترت منها ما أعتقد أنه ذو فائدة للقارىء الكريم.

* عندما أستمع إلى لحن المزمار الشعبي أو ما يسمى «المقرونة» أتذكر الفنان [سيرتيس الليبي] الذي اعتبره المؤرخون أول من اكتشف العزف على الناي.

وفي كتابه قراءات ليبية يحدثنا الدكتور علي فهمي خشيم عما قيل عن النايات التي كان يصنعها الليبيون القدماء والتي كانت أفخر النايات في العالم، وكانت تصنع من شجر اللوتس وقد ورد ذكر هذه الشجرة في الأوديسة لهوميروس.

تحية إلى الفنانين الذين يقومون اليوم بالعزف على

«المقرونة» والذين يحيون بعملهم فناً كاد يندثر.

* لست أدري لماذا أكره أن يشتهر المطربون.. ربما لأني أخشى أن يحدث لهم ما حدث لحنين الحيري.. وقصة حنين هذا أنه اشتهر بالغناء والطرب وأبدع في الشعر.. كان يسكن الحيرة في العراق ولشهرته في الغناء دعي لأن يقيم حفلات في الحجاز، وعندما كان يغني ذات ليلة في أحد المنازل، تكاثر الناس ليسمعوه وركبوا فوق سطح الدار فسقط بهم السقف ونجوا جميعاً ولكن مات حنين.. ذلك ما يقوله الأصفهاني في كتابه الأغاني.

* كثر الإقبال على دور العرض في أيامنا هذه إقبالاً شديداً رغم تفاهة الأشرطة المقدمة في كثير من الأحيان.. ذكرني هذا الإقبال بما حدثت به صحيفة طرابلس الغرب عما حدث في شهر سبتمبر 1944 افرنجي حيث تذكر أن الإقبال على دور الخيالة أصبح لا مثيل له، وأثناء عرض شريط «طاقية الإخفاء» في تلك الفترة رفض الجمهور الذي حضر العرض الأول لهذا الشريط مغادرة دار العرض وإفساح المجال للذين حضروا لمشاهدة العرض الثاني مما أسفر عنه حدوث معركة بين المجموعتين وقد

أدى ذلك إلى تدخل رجال الشرطة وإقفال دار العرض في ذلك اليوم.

يقال أن ذلك الشريط رغم تفاهة قصته قد عرض مدة طويلة وحقق أرباحاً لم يحققها أي شريط قبله.

* كلما أمسكت بيدي صحيفة يومية أتذكر المتاعب التي يلاقيها الصحفيون وغيرهم في سبيل وصول الأخبار إليَّ وإلى غيري، وأتذكر كيف كان يمر نقل الأخبار عبر التاريخ.

مما أتذكره ما يحكى عن أباطرة روما في حوالى القرن الرابع قبل المسيح من أنهم كانوا مشهورين في تصيد الأخبار ونقلها، وكانوا يختارون أشخاصاً أقوياء بارعين في نقل الأخبار التي كثيراً ما كانت تصل محرفة، ويقال أن (يوليوس قيصر) قد أصدر أمراً بتكوين مجلس خاص يقوم بكتابة تقارير يومية عما يدور في مجلس الشيوخ الروماني لتعرض على عامة الشعب.

ويحكى أن الإغريق كانوا يستعملون العبيد لنقل الأخبار وكان يكافأ من يحمل أخباراً سارة ويقتل من يحمل أخباراً سيئة أي أن الصحافة كانت مجرد إشاعات وكان الصحفيون يعتبرون في كثير البلدان رسل فساد حتى كان

عام 1792 افرنجي حيث صدر في بريطانيا قانون لإصدار الصحف يضمن حرية النشر ثم تلتها باقي الدول الأوروبية، أما بالنسبة للدول العربية فقد أصدر نابليون عام 1798 افرنجي أول صحيفة في مصر باللغتين العربية والفرنسية.

تعتبر جريدة طرابلس الغرب أول جريدة ليبية، وقد صدرت عام 1866 افرنجي بأمر من الوالي التركي، أما أول جريدة ليبية تأتي بعدها جريدة الترقي وصدرت عام 1897 افرنجي.

* استعملت العربات منذ أقدم العصور عند عدد من الشعوب من أهمها عربات قبيلة الجرمنت في الجنوب الليبي وعربات الرومان والفراعنة، ظهرت من العربات أنواع عديدة فمنها ما يجر بجواد واحد أو اثنين ومنها ما يجر بأربعة أو خمسة جياد. ظهرت في القرن الثامن عشر العربة ذات الغطاء الذي يمكن طيه إلى الخلف والتي تسمى (الحنطور) (العربية).

كثر في إحدى الفترات استعمال النساء الأوروبيات للعربات بدرجة كبيرة، وكن يقدن العربات بأنفسهن الأمر الذي سبب كثيراً من المشاكل، فأصدرت

الحكومات الأوروبية قراراً يسمح بموجبه للنساء اللائي تجاوزن العشرين عاماً فقط أن يقدن العربات وكانت خطة بارعة فلم تتجرأ أي امرأة بعد ذلك على قيادة عربتها حتى لا يقال عنها أنها كبيرة في السن. . !

كانت عربات (الحنطور) أو (العربية) هي وسيلة المواصلات الوحيدة حتى فترة قريبة وخاصة في مناسبات الأفراح. . أما الآن فقد قل الإقبال على ركوبها واستعمالها بقدوم السيارات. . وأصبح لا محل لها سوى أن تعرض في المتاحف.

* لعل قبقاب غوار الذي نشاهده عبر الشاشة الصغيرة في أيامنا هذه أشهر من خفي حنين، أو حذاء الطنبوري الذي نعرف قصته، وقد جرنا حديث ذات يوم عن القبقاب وأصله، وقد تأكدنا أن هذا القبقاب يعتبر أول أنواع الأحذية التي لبسها الإنسان القديم، وشارك هذا القبقاب في القدم الحذاء ذو الرقبة العالية والصندل، وكانت تصنع من الجلد، أما القسم السفلي فيصنع من الخشب، ويقال أن الفلاحين هم أول من استعمل القبقاب الذي كان قطعة رقيقة من الخشب ثم بدأ يتطور استعماله بتثبيته في الرجل وبدأ سمك تلك القطعة من

الخشب في الزيادة مثل ما نشاهده في محلات الأحذية من ارتفاع في سمك أرضيات الأحذية.

ظهرت في البلاد العربية الصنادل المصنوعة من سعف النخيل، وعند الهنود الحمر ظهرت أحذية مصنوعة من جلد الغزال، عند أول ظهور الأحذية كان الصناع ينتقلون من منزل لآخر لعمل الأحذية للزبائن في منازلهم، ولم تبدأ آلات صناعة الأحذية في الظهور إلا في سنة 1845 افرنجي.

أما الجوارب فقد عرفت لأول مرة عند العرب أيام الخليفة هارون الرشيد، وكانت تسمى موزا ولكنها لم تكن تلبس إلا عند الأثرياء فقط!

* كلما تطلعت إلى القمر والنجوم، وهي تزين السماء يمر بخاطري ذكر قوافل العشاق عبر الدهور وفي مقدمتهم قيس بن الملوح وليلى العامرية، وأتساءل هل خطر ببالهم أن هذا القمر المنير سيصعد إليه الإنسان في يوم من أيام القرن العشرين ويكتشف أن ذلك الجسم الذي تشبه به المرأة البيضاء ما هو إلا كتلة من صخور سوداء اللون.

وأثناء تطلعي إلى القمر والنجوم أذكر الإنسان الأول وهو

يتطلع أيضاً ويدقق النظر فيما حوله ويضع حجر الأساس لأول علم هو: علم الفلك ذلك ما يقوله علماء الحضارات الإنسانية.

مما يجدر ذكره أن علوم العرب الأوائل في الفلك هي صاحبة الفضل الأكبر في كثير من الكشوف العلمية الحديثة ولا نزال نجد الكثير من الأسماء والمصطلحات الفلكية الأجنبية ذات أصول عربية.

* شجرة الزيتون يكن لها الفلاح كل حب ويبذل أقصى ما عنده من جهد للمحافظة عليها واستغلالها. كيف وصلت لبلادنا؟

يقال أنها عرفت لأول مرة في جنوب وسط آسيا، وهي معروفة عند اليونان منذ سنة 3500 ق. المسيح حيث كان الفائزون في الألعاب الأولمبية يُلَبَّسون أكاليل من أغصان الزيتون، وهناك من يقول إنها عرفت في فلسطين سنة 3000 ق. المسيح ومنها انتقلت إلى غيرها من البلدان شرقاً وغرباً وتركزت في دول البحر الأبيض المتوسط.

تعيش شجرة الزيتون حتى يجاوز عمرها الألف سنة وتقول حكمة قديمة: إن من يزرعه يزرع الثروة لأحفاد أحفاده.

اتُّخذت أغصان الزيتون كرمز للسلام منذ قديم الزمان لأنها الشجرة التي أحضرت حمامة نوح فرعاً منها عندما أرسلها لتعود له بخبر انخفاض الماء على الأرض بعد الطوفان. . . !

* ملح الطعام. . تلك المادة التي لا غنى عنها أثناء طبخ الطعام. . من المواد التي يحتاجها الجسم. . جسم الإنسان والحيوان على السواء. . يتركب هذا الملح من الصوديوم والكلور ويتواجد بكثرة في البحار.

لهذا الملح شهرة كبيرة عبر عصور التاريخ. . فمثلاً كانت رواتب الجنود في الدولة الرومانية عبارة من مبلغ من المال يعطى ليشتري به الجندي ما يحتاجه من الملح وكان يسمى (سالير) ومنه اشتقت الكلمات التي تعني الراتب في اللغات الإيطالية والإنجليزية والفرنسية. كما أن أشهر الطرق القديمة في العالم كانت طرق القوافل التي تحمل الملح. . وكان الحصول على الملح من البحر مباشرة طريقة تسببت في عداوة بين الإنجليز والهنود في الهند إذ كان الإنجليز يحتكرون تجارته.

أذكر ذلك كلما سمعت شخصاً يحدث آخر بأنهما قد أكلا معاً عيشاً وملحاً، أو رأيت امرأة ليبية تضع ملحاً

في صحن جارتها بدلاً من أن تعيده إليها فارغاً.

* لا شك أن كلاً منا يحب رائحة العطر.. قد تختلف درجة هذا الحب، ولكن للعطر دائماً أثره الجميل على بني البشر.. وذلك أمر عام على جميع البشر في كل زمان ومكان.. إلا في بريطانيا فمنذ نحو قرنين من الزمان حدث أمر عجيب.. إذ كثر استخدام النساء للعطور حتى اضطر الرجال إلى مطالبة البرلمان بإصدار تشريع يحميهم من إغراء تلك العطور التي كانت تملأ ملابس النساء وشعورهن وقتئذ.. استجاب البرلمان لهذه المطالبة حيث أصدر عام 1770 افرنجي قانوناً يحرم استعمال العطور ومواد الزينة وخاصة تلك التي تخفي العيوب البدنية. ولم يطل الأمر إذ تبدل البريطانيون وأصبحوا من بين الشعوب التي تهتم بالعطور كالفرنسيين والإيطاليين وغيرهم.

المعروف أن العرب والمصريين القدماء والشرقيين عموماً هم الأوائل في الاهتمام بالعطور واستنباطها من مصادرها النباتية والحيوانية.

* السور المحيط بمدينة طرابلس القديمة يكاد يكون لا فائدة منه ككل الأسوار المحيطة بالمدن إلا من الناحية

التاريخية. . فهذا السور بني قبل الفتح العربي بدليل صعوبة فتح مدينة طرابلس على أيدي المسلمين.

والأسوار بنيت في الماضي لحماية المدن من الغارات التي تقوم بها الجيوش حيث كانت الحرب حرب مشاة وفرسان. . وكلما مررت بسور المدينة القديمة ذكرت سور الصين الذي بني لصد غارات الشماليين على الصين عام 346 ق. المسيح.

أما أعجب الأسوار فذلك الذين بنى عام 1636 افرنجي ليحيط بجامعة هارفارد بأمريكا. . والسبب وراء بناء هذا السور ليس لحماية الجامعة من الغارات أثناء الحروب وإنما كان لحماية الطلاب من الهجومات التي كانت تشنها الذئاب التي كانت تنتشر في تلك المنطقة.

* الحرير ذلك النسيج الذي يغري الكثير من النساء في معظم أنحاء العالم. . استغلت الصين صناعته واحتكرتها ومنعت انتشار صناعته فترة طويلة وفي سنة 2640 ق. المسيح أصدر امبراطور الصين قراراً يقضي بإعدام من يفشي سر هذه الصناعة.

الغريب أنه في تلك السنة بالذات أحبت أميرة صينية أميراً هندياً، وعندما تزوجته باحت له بسر هذه الصناعة دون

أن تدري فانتشرت الصناعة في الهند نتيجة لثرثرة تلك الأميرة.

وفي نفس السنة تمكن راهبان من تهريب بيض دودة القز داخل عكازين مجوفين إلى تركيا ثم إلى أوروبا، بعد ذلك انتشرت صناعة الحرير في بلادنا سنة 1860 افرنجي بعد أن بدأت زراعة أشجار التوت في العهد العثماني.

* عادات الزواج.. تختلف من بلد لآخر، وقد تكون هذه العادات محبوبة في نفس البلد أو مكروهة.. وفي بلدنا أيضاً تحب بعض العادات المتبعة في حفلات الزواج وتكره أخرى.. كما أن ما يناسب بلداً من البلدان قد لا يناسب الآخر.

من ألطف ما قرأت عن عادات الزواج ما كان يحدث في إقليم دارفور في السودان منذ قرن مضى ولا أعرف إن كانت لا تزال تطبق حتى الآن.. هناك يقابل الفتى فتاته في كل مكان وزمان حتى إذا خطبها فإنها تحتجب عنه وعن أبيه وأمه كما يحتجب هو عن رؤية أبيها وأمها وعند الزواج يشترط عليه أن يقيم مع أهلها أو في سكن مجاور.. وأعجب من هذا أنه لا يصرف درهماً واحداً على زوجته أو على بيته طيلة السنة الأولى.. فوالد

زوجته يتكفل بكل شيء... وإذا ما طالب الزوج بأن يسكن في مسكن مستقل مع زوجته ويصرف على بيته وأسرته يُرفض طلبه، وقد يؤدي ذلك إلى الطلاق.. ترى ما رأي الآباء في بلادنا.. وما رأي الشباب؟ أعتقد أن الكثير منهم يتمنى ذلك ويتمنى أن يتم صرف والد زوجته على بيته ليس لسنة واحدة وإنما لأكثر!

* يذكرنا الثقاب بالنيران التي كانت توقد وتظل مشتعلة لأيام وليالٍ طويلة، وبالإنسان القديم الذي كان يحك الأحجار ببعضها كي تولد له شرارة من نار. ترى متى بدأ الإنسان استعمال أعواد الثقاب؟! بالعودة إلى كتب التاريخ نجد أن أولى المحاولات بدأت عندما عثر الكيميائي الألماني برانت على مادة الفوسفور (1669 افرنجي) وبذل محاولات عديدة لصنع الثقاب منها، ولكنها جميعاً بائت بالفشل خاصة وأن الحكومات اضطرت لتحريم استعماله لخطورته في مؤتمر دولي 1906 افرنجي.

أما الثقاب المستعمل في هذه الأيام فقد اخترعه ج. د. لندستروم في عام 1855 افرنجي وبذلت كثير من المحاولات لتحسينه حتى أصبح على ما هو عليه اليوم وهو ما يسمى بثقاب الأمان.. رغم خطورته.. عبر عن

ذلك أحد الكتاب قائلاً: «إن شجرة واحدة تكفي لصنع الملايين من أعواد الثقاب.. ولكن عوداً واحداً من الثقاب يكفي لحرق الملايين من الأشجار».

* المكتبات بما تحتويه من كتب هي اليوم من ضروريات الحياة لتتبع آخر ما وصل إليه العلم وثقافة الإنسان عبر مسيرته الطويلة.

والمكتبات ليست وليدة هذا القرن بل منذ أقدم العصور، فقد اكتشفت مؤخراً بمدينة نيبور الأثرية بالعراق مكتبة تحتوي على أكثر من ثلاثين ألفاً من الكتب والوثائق منقوشة على ألواح من الصلصال يرجع تاريخ كتابتها إلى حوالى 270 سنة ق. المسيح.

عرفت المكتبات في مصر واليونان وسورية كما عرفت المكتبات في الكنائس بعد انتشار الدين المسيحي، وعند ظهور الإسلام ظهرت عدة مكتبات منها مكتبة بيت الحكمة ببغداد 813 افرنجي ومكتبة قرطبة 961 افرنجي. بعد ذلك بدأ انتشار المكتبات في أوروبا وفي البلدان العربية.. تعتبر مكتبة الأوقاف بطرابلس هي أقدم المكتبات في ليبيا فقد تأسست عام 1898 افرنجي.

* تلقى الخاطب وفي يده اليمنى دبلة، وتجدها عند

المتزوج في اليد اليسرى فما السر في هذا ومتى بدأت هذه العادة؟!

يقال أن «دبلة الخطوبة» أو خاتم الزواج قد عرفت لأول مرة عند الرومان فقد كان من عاداتهم أن يقدم الرجل إلى خطيبته خاتماً من الحديد على سن السيف.. استبدل الخاتم بعد ذلك بقطعة من الذهب أو الفضة يحتفظ كل من الخطيبين بجزء منها.

يقال أن المصريين القدماء هم أول من استعمل الذهب في صنع الخواتم التي تقدم في مناسبات الزواج.. وقد اتفق على أن توضع الدبلة أو الخاتم في بنصر اليد اليمنى كدليل على أن الزواج لم يتم بعد.. فإذا زفت العروس إلى زوجها نقلت «الدبلة» إلى اليد اليسرى.. ويقال أن ذلك اختير بناء على اعتقاد قديم عن وجود عصب يربط بين القلب وبنصر اليد.

اليوم تلبس النساء الخواتم في جميع أصابع اليد ما عدا الإبهام، ولا تزال المرأة في اليمن تفعل ذلك، ويقال أنها البادئة في هذه العادة أما السلسلة التي تلبس في الرقبة فقد ابتدعت في الحرب العالمية الأولى وكانت تتدلى منها قطعة حديدية يكتب عليها اسم الجندي.

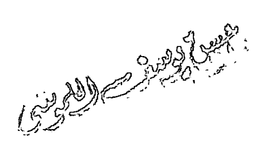


كتب صدرت للمؤلف

- يسألونك عن الحيوان.
- مقدمة في علم المتاحف.
- الحيوانات والحضارة.
- الطيور الليبية «ترجمة».
- الإبل والخيل في التاريخ والحضارة.
- الحيوانات في الأمثال العربية.
- دراسة في الأدب الشعبي «أغاني العلم».
- الحيوانات الفقارية البرية الليبية.
- المصادر الأجنبية عن الحيوانات الليبية.
- موسوعة الحيوانات الليبية.
- الثدييات الليبية.

كتب تصدر قريباً

- فن الصيد بالصقور.
- فنون الصيد والتحنيط.
- الصراع بين الإنسان والحيوان.
- فن العرض في المعارض والمتاحف.
- مقدمة في علم الحيوان العام.



هـذا الـكـتـاب مـجـمـوعـة مـن المـواضـيـع الـعـامـة المـتـنـوعـة من عوالم مختلفة، بعيدة عنا وقريبة، تُعرّفنا على عادات وتقاليد ندهش لها ونضحك، وبعض منها يمدنا بمعلومات تاريخية مفيدة تزيد من ثقافتنا، كما يحوي الكتاب على بعض الطرائف والعبر، يستمتع بها القارىء عندما يخلو لنفسه طلباً للراحة.





الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

سرت ـ ص. ب. 921 مبرق 30098 مطبوعات ـ ناسوخ 62100 ـ 054

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى